الإلهام النافع

لكل قاصد

للعارف بالله تعالى

الشيخ صالح محمد الجعفرى

رضى الله تعالى عنه

الناشر

دار جوامع الكلم

١٧ شارع الشيخ صالح الجعفرى

الدراسة - القاهرة ت: ٥٨٩٨٠٢٩

صورة العارف بالله تعالى الإمام الأزهرى
شيخ المادحين وقدوة الواصلين سيدى
الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه

صورة سيدى الشيخ عبد الغنى صالح
الجعفرى شيخ عموم الطريقة الجعفرية
الأحمدية المحمدية بمصر والسودان

الإلهام النافع لكل قاصد

للعارف بالله تعالى الشيخ
صالح الجعفرى
رضى الله تعالى عنه

على

رسالة القواعـــد

للإمام الفقيه المحدث سيدى
أحمد بن إدريس
رضى الله تعالى عنه

الناشر
دار جوامع الكلم
تليفون : ٥٨٩٨٠٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم الكتـــاب

الحمد لله الذى أفاض على قلـوب أوليائه من أنوار محبته وجعلهم بين عباده ظلا ظليلا وغيثاً مريعًا لرحمته .

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الكامل فى خَلْقه وخُلُقه وسيرته الذى استنارت الأكوان بطلعتـه وتعطر الوجود بمحبته ورضى الله تبارك وتعالى عن أهل بيتـه وعترته وصحابتـه وعن التابعين لهم بإحسان على طريق سنته .

وبعـــد :

فإن كتاب [الإلهام النافع لكل قاصد على رسالة القواعد] الذى ألفه إمام العارفين وقطب المحققين وقدوة الصـادقين شيخنا و إمامنا العالم العامل والوارث الـولى الكامل سيدى فضيلة العـارف بالله تعالى الشيخ صالح الجعفـرى الصادقى الحسينى رضى الله عنه وأرضاه هـذا الكتاب إنما هـو ـ فى الحقيقة ـ قبس من مشكاة الرسـالة ومدد من بحـر النبوة وفيض من الـرحمة الإلهيـة التى يهدى الله بهـا من يشاء من عبـاده إلى الرشد والكمـال ومما يؤثر عن مؤلفـه ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال : هذا الكتاب حقه أن يوضع تحت الـوسادة وذلك تعبير عن أهمية ذلك الكتاب لمن يريد لنفسه الفلاح والسعادة . فهذا الكتاب لا يستغنى عنه مريد ولا يبرحـه من عرف قيمته وما فى ثناياه من درر الإفـادة فإذا صرفته

شواغل الحياة عن الاحتشاد لقراءتـه ودرسه فلا أقل من أن يجيل النظر فيه قبل نومه فإنه لن يحرم مـن فائدة ولن يخلو من عائدة، لأن مؤلفه ـ رضى الله عنه ـ وضعه لنفع كل قاصد بـإلهام من المولى الصمد الواحد فالسعيـد من قرأه وعمل بما فيـه فإنه يصل بإذن الله تعالى إلى سعـادته وترقيه.

وهـذا الكتـاب ـ إن شـاء الله تعـالى ـ لِمَـا قُـرىء لـه، فمن قـرأه بـالإخلاص وصل إلـى طريق الخـلاص ومن قـرأه بـالمحبة شـرب من كئوس التجلى مع الأحبـة ومن قرأه للشفاء عـوفى من جميع الأدواء فهو علاج لـلأمراض القلبيـة والعلل النفسية التـى تعرقل السيـر وتعوق دون الوصول إلى طريق الله تعالى.

وخـلاصة القـول أن هذا الطـريق وضع أساسـه سيدى أبـو الحسن الشاذلى وأرسى قواعده سيدى أحمد بن إدريس وشاد بنيانه وقوم أركانه سيدى الإمام صالح الجعفرى ـ رضى الله تعالى عنهم أجمعين.

وهذا الكتاب هو الأساس والقواعد والبنيان وهو المدد الموروث عن سلفنا الصـالح سيدى أبى الحسن الشاذلى وسيـدى أحمد بن إدريس وسيدى صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنهم.

وحتى يعرف الجميع هذه الحقيقـة التاريخية فإن المدرسـة الصوفية الشاذلية قد نشرها سيدى أحمـد بن إدريس ورعاها ثم قوم أركانها وتمم بنيانها سيدى الشيخ صالح الجعفرى.

فالطـريقة الجعفـرية هـى المدرسـة الصوفيـة الجعفريـة الإدريسية

الشاذلية وخير شاهد على هذا ما هـو مذكور فى ثنايا هذا الكتاب الذى هو بين يديك فبتوفيق من المولى تبـارك وتعالى قام شيخنا الإمام الشيخ صالح الجعفـرى ـ رضى الله تعـالى عنه ـ بشـرح تلك القواعـد وجعلها إلهاماً لكل قاصد وهذا بمثابة تكميل البناء بما يلزمه من لبنات وتتميمه بما يحتاجه من أبواب ونوافـذ وغيرها حتى يصلح للعيش الكريم النافع للإنسان .

فالشـرح الذى وضعـه شيخنا ــ رضى الله تعالى عنـه ـ متمـم للبناء ومزيل للغطاء وما هو إلا مـدد متصل لشيخنا من مدد سيدى أحمد بن إدريس وإمـامنـا سيـدى أبى الحسن الشـاذلى رضى الله تعـالى عنهم أجمعين .

فجـزى الله شيخنا الإمـام الشيخ صالـح الجعفرى عنـا خير الجـزاء ونسأله سبحـانه أن يجزل له المثوبـة فى دار البقاء وأن يتغمده بـالرحمة والـرضوان وأن يجعلـه فى أعالى فـراديس الجنـان إنه سبحـانه الحنـان المنان ومنه العون وعليه التكلان .

راجى عفو ربه الغنى

عبد الغنى صالح الجعفرى

شيخ عموم الطريقة الجعفرية

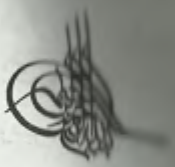

هـذا كتـاب نفيس قـد حـوى دررا
من المعـــانى لأهل الذوق والحكم

* * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة دار جوامع الكلم

الحمـد لله الذى جعل السعـادة فى صحبـة السعداء، وأفـاض من علـومه وأسـراره على قلـوب العـارفين والأوليـاء، وقربهم مـن حضرتـه واجتباهم فهم أهل التكريم والاصطفاء.

وصلى الله تبارك وتعـالى على سيدنـا ومولانـا محمد إمـام الأنبياء، وخيرة الأصفيـاء، وأكرم الكرمـاء، الـــذى ببـركة قوله نـارت صدور العلمـاء، وانجلت بطلعة صبح جبينـه الظلماء، وعلى آلـه الطاهـرين الأوفياء، صلاة وسلاما يملآن الأرض والسماء..

وبعـــد...:

فيسر دار جوامع الكلم أن تقدم لجميع الإخوان بـالطريقة الجعفرية الأحمديـة المحمدية، ولجميع المسلمين فى مشارق الأرض ومغـاربها هذه الدرة المصونـة، والجوهرة المكنونة من بحر لآلىء سيـدنا ومولانا الإمـام العـارف بالله تعـالى فضيلـة الشيخ التقى النقى سيـدى صـالح الجعفرى، رضى الله تعـالى عنه وأرضاه، وجعل أعلى فـراديس الجنان مثواه، ألا وهى كتـابه الجـامع لجواهـر الفوائد، والموصـل إلى حضرة العلى الواحد، الذى سماه رضى الله تعالى عنه:

الإلهام النافع لكل قاصد على رسالة القواعد

* * * *

التعريف بسيدى أحمد بن إدريس الحسنى
صاحب رسالة القواعد

وصاحب رسالة القواعد هو الشيخ الإمام القطب النفيس سيدنا ومولانا أحمد بن إدريس الحسنى المغربى الذى ينتهى نسبه إلى السادة الحسنية الإدريسية القاطنين بالمغرب.

وكان مولده ـ رضى الله تعالى عنه ـ ببلدة هناك تسمى ميسورا، بالقرب من مدينة فاس، سنة ثلاث وستين ومائة بعد الألف، وبها نشأ وقرأ القرآن الكريم، ثم توجه إلى فاس لطلب العلم فأخذ عن جماعة محققين منهم العلامة عبد الكريم اليازغى والعلامة ابن شقرون والعلامة ابن كيران والعلامة سيدى محمد المجيدرى الشنقيطى والعلامة سيدى ابن سودة التاودى.

ولما أخذ من العلوم بالعروة الوثقى، وارتقى فيها الغاية التى ليست لغيره ترقى جمعه الله بالإمام الهمام غوث عصره وفريد دهره مولانا السيد عبد الوهاب التازى الحسنى، فسلك على يده علوم الطريق، وعول عليه فى كل تحقيق.

ولما أن درس العلوم بالمغرب الأقصى، وأحيا معالم الطريقة واهتدى به جمع لا يحصى، توجه إلى الحجاز، فمر على مصر والصعيد، وبعد أن أقام بالحجاز مدة توجه إلى اليمن، وبها توفى ليلة السبت الحادية والعشرين من رجب سنة ثلاث وخمسين ومائتين بعد الألف، ودفن بمدينة صبيا، وقبره بها يزار، وتلوح منه للوافدين أنوار.

تعريف بسيدى الإمام صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه

هو العارف بالله تعالى شيخ الطريقة ومعدن الحقيقة صاحب الأنوار الظاهرة والأسرار الباهرة، الإمام العالم التقى فضيلة الشيخ صالح بن محمد بن صالح الجعفرى الصادقى الحسينى، الذى يتصل نسبه العالى بالإمام جعفر الصادق بن سيدنا محمد الباقر بن سيدنا على زين العابدين بن سيدنا ومولانا الإمام الحسين رضى الله تعالى عنهم أجمعين.

ولد رضى الله تعالى عنه ببلدة «دنقلا» من السودان الشقيق فى الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة بعد الألف من التاريخ الهجرى ١٣٢٨ هـ، وبها حفظ القرآن الكريم وأتقنه فى مسجدها العتيق، ثم وفد إلى مصر ليتلقى العلوم بالأزهر الشريف واتصل بأهله المقيمين بقرية السلمية بمركز الأقصر من محافظة قنا.

وقد ترجم رضى الله تعالى عنه لنفسه فى مقدمة كتابه المنتقى النفيس وقال:

من بلدة الأقصر بصعيد مصر من القبيلة التى هى من الجعافرة وتسمى العلوية، وهم مفرقون بين الأقصر والحلة والحليلة والدير. وقد قل عددهم والبقاء لله.

وفى السلمية يوجد قبر جد والدى «محمد رفاعى» بمقبرة جد

الجعـافـرة الشـريف السيـد الأمير حمـد حيث إنـه كـان يقيم هنـاك، وللجعافـرة نسب كثيرة محفوظـة قديمة، ومن أشهـرهم فى إظهار تلك النسب أخيـرا الشريف السيـد إسمـاعيل النقشبندى، وتلميـذه الشيخ السيد مـوسى المرعيابى، ولا تزال ذريـاتهم تحتفظ بتلك النسب كثيرة الفروع المباركة.

اعلمـوا أيها الإخـوان أننى كنت منـذ صغرى أشعـر بأننى من ذريـة الإمـام سيدنـا جعفر الصـادق رضى الله تعالى عنـه، إلى أن رأيت فى أوراق والـدى «رحمـه الله» الرسميـة: جنسيتـه: جعفـرى، وكنت أرى أجدادى رضى الله تعالى عنهم بالبلد حتى أتيت مصر.

فأول رؤية رأيـت فيها السيدة زينب رضـى الله تعالى عنها بنـت أمير المؤمنين سيدنا على رضى الله تعالى عنه وكرم الله وجهه فسلمت عليها وهى فى مقامهـا من وراء حجاب ومدت لـى يدها وهى مستـترة وقالت لى: كيف حالك وحال أهلك الجعافرة ؟.

ثم رأيت أهـل بيت النبـوة أجمعين يسلمـون علىّ ويعطفـون، وبالأخص السيدة فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها.

وهنـاك مـرائى كثيـرة تـدل على ذلك والحمـد لله، وإنى أشكـر الله تعالى حيث جعلنى أنتسب إلى هذا البيت الطاهر، وعرف أجدادى بى وعـرفنى بهم، وجعلت الله على قـولى هـذا وكيلا، وهـو حسبنـا ونعم الوكيل.

وقد شاء الله تعـالى لى أن أنتسب إلى الطريقة المحمديـة الأحمدية

المنسوبة للشيخ العالم الربانى سيدى أحمد بن إدريس الحسنى المغربى رضى الله تعالى عنه (١).

وقال ـ رضى الله عنه ـ فى كتابه «فتح وفيض وفضل من الله فى شرح كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله»: الحمد لله، من فضل الله علىّ رأيت أجدادى جميعا، وهم يعرفوننى وأعرفهم، وقد أقر النبى صلى الله عليه وآله وسلم بأن جدى سيدنا جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه.

وذلك أننى رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه الخلفاء الأربعة الراشدون فسلمت عليه وعلى الخلفاء رضى الله تعالى عنهم، ولما سلمت على سيدنا على رضى الله تعالى عنه وكرم الله وجهه أمسكت بيده وقلت له: إننى محسوب عليك إننى من ذريتك، إننى من ذرية سيدنا جعفر الصادق. وكان صلى الله عليه وآله وسلم جالسا فنظر إلينا، ولما قلت: من ذرية سيدنا جعفر الصادق، قال عليه الصلاة والسلام: «نعم» وأشار برأسه من أعلى إلى أسفل مصدِّقا على قولى صلى الله عليه وآله وسلم. فلما استيقظت كانت هذه الرؤيا أحب إلى من الدنيا وما فيها..

وقبل ذهابى إلى الحج فى هذه السنة عام ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف رأيت سيدنا الحسين رضى الله تعالى عنه فى مقامه وسلمت عليه، ومن محبتى فيه قلت له: من أنا؟ قال: الجعفرى. قلت: إننى من ذريتك وإن أهلى يشبهونك. كأننى أعرّفه بأننى من ذريته. فرفع

(١) المنتقى النفيس ص ٢، ٣.

صوته قائلا: «سام وحام ويافث أبناء نوح عليه السلام أنا أعرفهم وأعرف ذراريهم» ثم شرع يشرح فى ذرية سيدنا نوح عليه السلام، ففهمت من كلامه رضى الله تعالى عنه: كيف لا أعرف ذريتى وقد أطلعنى الله تعالى على ذرية أبناء نوح عليه السلام (٢).

وقد أخذ رضى الله تعالى عنه طريقة سيدى أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه من سيدى محمد الشريف رضى الله عنه، وفى ذلك يقول رضى الله عنه: «وقد أجازنى بهذا الطريق شيخى وأستاذى مربى المريدين الشريف السيد محمد عبد العالى عن والده سيدى عبد العالى عن شيخه العلامة السيد محمد بن على السنوسى عن شيخه العارف بالله السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنهم» (٣).

ثم كان حضوره إلى مصر للالتحاق بالأزهر بإشارة من شيخه سيدى عبد العالى رضى الله تعالى عنه. وفى هذا يقول:

قبل مجيئى إلى الأزهر جاء أحد أهل البلد بأول جزء من شرح النووى على صحيح مسلم فاستعرته منه وصرت أذاكر فيه، فرأيت سيدى عبد العالى الإدريسى رضى الله تعالى عنه جالسا على كرسى وبجواره زاد للسفر، وسمعت من يقول: إن السيد يريد السفر إلى مصر إلى الأزهر فجئت وسلمت عليه وقبلت يده، فقال لى مع حدة: «العلم يؤخذ من صدور الرجال لا من الكتب» وكررها، فاستيقظت من منامى

(٢) فتح وفيض وفضل من الله ص ٩٣، ٩٤.

(٣) المنتقى النفيس ص ٢٠٧.

وقد ألهمنى ربى السفر إلى الأزهر، وحضرت الشيخ محمد إبراهيم السمالوطى المحدث وهو يدرس شرح النووى على صحيح مسلم فجلست عنده وسمعته يقرأ حديث: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وإن استنفرتم فانفروا»[1].

وقد تلقى العلم بالأزهر الشريف على يد نخبة من كبار العلماء العاملين الذين جمعوا بين العلم والتصوف، ومنهم الشيخ محمد إبراهيم السمالوطى السالف الذكر، والشيخ محمد بخيت المطيعى، والشيخ حبيب الله الشنقيطى، والشيخ يوسف الدجوى، والشيخ على الشائب، وحصل على الشهادة العالية والعالمية مع إجازة التخصص فى التدريس من كلية الشريعة الإسلامية.

وعين بعد ذلك إماما ومدرسا بالجامع الأزهر الشريف، فاتخذ من رواق المغاربة مقرا له حيث تفرغ للعلم والدعوة إلى الله تعالى، وكانت له فيه خلوة مباركة، وكان لا يفارقه إلا للحج إلى بيت الله الحرام وزيارة النبى عليه أفضل الصلاة والسلام وزيارة أهل البيت فى روضاتهم.

واشتهر رضى الله تعالى عنه بدرس الجمعة بالأزهر الشريف حيث كان الناس يحرصون على حضور درسه ويتبركون بذلك؛ لما فيه من الأنوار والأسرار والعلوم والمعارف الدينية والعربية.

قال رضى الله تعالى عنه: ومما منَّ الله به علىّ أن شيخى قطب أهل الوصال. السيد محمد عبد العالى، قد حضر درسى بالأزهر

---

(١) فتح وفيض وفضل من الله ص ١٢.

الشريف وأظهر كرامة وهى : كنت وأنا صغير إذا سلمت عليه بالبلد يقول : «أهلا شيخنا» ومرة سلمت عليه ومعى مشايخى فسلم عليهم وعلىّ ، فلما رجعنا قال لى أحد مشايخى : لماذا السيد يقول لك : أهلا شيخنا . ونحن مشايخك لا يقول لنا هذه الجملة؟ فقلت : الله أعلم . فلما أتيت الأزهر الشريف ، وكان حضورى إلى الأزهر بأمر والده سيدى عبد العالى بطريق الإشارة ، ومنه رضى الله تعالى عنهما بطريق العبارة ، وبعد أن مكثت بالأزهر سبع سنوات حضر سيدى محمد الشريف بدرسى يوم الجمعة ، وكنت أفسر سورة الكوثر والناس يزدحمون ما بين جالس وواقف ، فلما حضر قال : من هذا؟ قالوا له : هذا الشيخ صالح . قال : صالح ابنى؟! صالح تلميذى؟! قالوا : نعم . فأخذه حال وفرح عظيم رضى الله تعالى عنه .

فلما انتهى الدرس قلت : يا أيها الإخوان إن شيخى قد حضر فقوموا جميعا وسلموا عليه . فلما سلمت عليه وقبلت يده تبسم وقال : «أهلا شيخنا» فتذكرت كلمته التى كان يقولها لى سابقا .

وقد استبشرت روحى بحضوره عند تفسيرى هذه السورة ، وأخذت منها البشرى بكثرة الخير وكثرة الحج وقطع دابر أعدائى .

ولشيخى هذا أسرار وكرامات ونفحات وعجائب وغرائب ، سره مكتوم وأمره معلوم ، ظاهره باطن وباطنه ظاهر ، له سيف قاطع ونور ساطع ، قد ورث عن جده ووالده أحوالا ، ونال من بركاتهما منالا ، كان مرة يمشى خلف والده ببلدة دنقلا بالسودان ، والناس يزدحمون عليه

بالإقبال والإجلال فحدثته نفسه هل أنا إذا بلغت عمر والدى هذا يكون لى من الاحترام والإكرام ما حصل لـه؟ فالتفت إليـه والده سيـدى عبد العالى رضى الله تعـالى عنه وقال لـه : «وأكثر من هذا يا محمـد» فكان كمـا قال، والحمـد لله تعـالى على كل حـال، والصلاة والسـلام على النبى وعلى جميع الأصحاب والآل (٥).

ولشيخنـا رضى الله تعـالى عنـه مؤلفـات كثيـرة فى مختلف العلـوم الدينية والعربية، وفى مجالات الوعـظ والإرشاد ونشر الدعوة الإسلامية منها:

١ ـ ديوان الجعفرى، صدر منه اثنا عشر جزءاً.

٢ ـ فتح وفيض وفضل من الله .

٣ ـ المعانى الرقيقة على الدرر الدقيقة .

٤ ـ أسرار الصيام .

٥ ـ الإلهام النافع لكل قاصد ، (وهو هذا الكتاب) .

٦ ـ البردة الحسنية الحسينية .

٧ ـ روضة القلوب والأرواح .

٨ ـ جالبة الفرج .

٩ ـ المدائح المقبولة .

١٠ ـ السيرة النبوية المحمدية .

١١ ـ الذخيرة المعجلة للأرواح المعطلة .

---

(٥) المنتقى النفيس ص ١١٠ .

١٢ ـ المنتقى النفيس من مناقب سيدى أحمد بن إدريس .
١٣ ـ النفحات الكبرى .
١٤ ـ أعطار أزهار أغصان حظيرة التقديس .
١٥ ـ مفاتح كنوز السمٰوات والأرض .
١٦ ـ الصلوات الجعفرية .
١٧ ـ منبر الأزهر يترجم عن نعمة الله على آل جعفر «خطب» .
١٨ ـ الحكم والفوائد الجعفرية .
١٩ ـ كنز السعادة .
٢٠ ـ مفيدة العوام .
٢١ ـ دعوات الفرج السريع .
٢٢ ـ مفرحة الفؤاد .
٢٣ ـ مفرحة الأرواح .
٢٤ ـ لآلىء البحار .
٢٥ ـ الأربعين الجعفرية .
٢٦ ـ القصيدة الرائية .
٢٧ ـ القصيدة التائية .
٢٨ ـ نظم الآجرومية فى علم النحو .
٢٩ ـ القصيدة الميسورة فى علم الميراث .
٣٠ ـ جلت عظمتك .
٣١ ـ رسالة فى الحج والعمرة .
٣٢ ـ الأوراد الجعفرية .

كما قام رضى الله تعالى عنه بتحقيق وشرح الكثير من مؤلفات سيدى الإمام أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه وذلك ليعم النفع بها ومن ذلك :

١ ـ لوامع البروق النورانية .

٢ ـ كيمياء اليقين .

٣ ـ شهد مشاهدة الأرواح التقية .

٤ ـ نصر الله بالالهامات العلمية .

٥ ـ الفيوضات الربانية .

٦ ـ شرح الصدور بإذن اللطيف الخبير .

٧ ـ رسالة القواعد .

٨ ـ كنز السعادة . ٩ ـ العقد النفيس .

وقد فتح الله تعالى عليه باب الحج وزيارة النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى كل عام حتى بلغ حجه سبعا وعشرين حجة أتمها مصاحبا لأحبابه ومريديه .

وانتقل رضى الله تعالى عنه بعد حياة حافلة بالجهاد الأكبر إلى جوار ربه مساء يوم الاثنين الثامن عشر من جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة (١٣٩٩ هـ) . ودفن بجوار مسجده الذى أنشأه قبيل وفاته بحديقة الخالدين بالدراسة بالقاهرة . نور الله تعالى ضريحه ، وجعله مهبط الأسرار والأنوار .

****

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وسلم فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله .

الحمد لله الذى أنطق الألسن بحكمته ، وأنار القلوب بمعرفته ، فأبصرت بنوره بديع صنعته .

وبعد : فيقول شيخنا الإمام سيدى صالح الجعفرى بن محمد بن العارف بالله تعالى الشيخ صالح بن محمد الجعفرى الصادقى الحسينى :

قد من الله تعالى على بكلمات جعلتهن شرحا لطيفا على الرسالة المسماة «بالقواعد» لشيخ المشايخ الإمام مولانا السيد أحمد بن إدريس الشريف الحسنى العرائشى المغربى رضى الله تعالى عنه ، جعله الله نافعا للإخوان ومحققا لما بشرنى به المؤلف ، حقق الله قوله . . آمين .

وإننى وإن كنت لست أهلا لهذا الميدان ، ولكن كان ما سطرته فكان ، ولا مجال لى فيه مع فارس الميدان ، ولا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ، وهو حسبى ونعم الوكيل .

****

بسم الله الرحمن الرحيم

البـــاب الأول

القاعدة الأولى المحاســـبة

وصلى الله على مولانـا محمد وعلى آلـه فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله .

أما بعـــد . . . . :

فالأمـر الجامع والقـول السامع والسيف القاطـع فى طريق الله تعـالى أن العاقـل الذى يـريـد نجاة نفسـه من جميع المهـالك ، ويحب أن يدخله الله فى سلك المقـربين فى جميع المسالك إذا أراد أن يدخل فى أمر من أموره قولا أو فعلا فليعلم أن الله تعالى لا بد أن يوقفه بين يديه ، ويسأله عن ذلك الأمر فليعد الجواب لسؤال الحق تعالى قبل أن يدخل فى ذلك الأمـر فإن رأى الجواب صوابا وسدادا يـرتضيه الحق تعالى ويقبلـه منه فليـدخل فى ذلك الأمر ، فعاقبته محمودة دنيا وأخرى .

وأمـا إن رأى أن ذلك الجـواب لا يقبلـه الحق تعـالى منـه ولا يرتضيـه فليشرد من ذلك الأمـر أى أمر كـان ؛ فإنه وبـال عليه إن دخل فيه . وهذه القاعدة هى أساس الأعمال كلها والأقوال .

فمن تحقق بهـا ورسخ فيهـا كـانت أحـواله كلهـا مبنيـة على السداد ظاهرا وباطنا لا يدخلها خلل بوجه من الوجوه ، وهذا معنى قـول النبى صلى الله عليه وآلـه وسلم : «حاسبـوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزن عليكم» .

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وسلم فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله .

قال سيدى أحمد رضى الله تعالى عنه :

«أما بعد . . . فالأمر الجامع ، والقول السامع ، والسيف القاطع» .

قال سيدى صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه : الأمر الجامع : الذى يجمع بين العبد وربه كما قال سيدى أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه «حتى لا أرى فىَّ وفى كل شىء وفى لا شىء إلا إياك» والذى يجمع بينه وبين النبى صلى الله عليه وآله وسلم كما قال أيضا : «واجمع بينى وبينه كما جمعت بين الروح والنفس ظاهرا وباطنا يقظة ومناما» .

والقول السامع

أى : الأمر الذى يوصلك إلى مقام السماع الإلهى كما قال أيضا : «وأوقفنى وراء الوراء بلا حجاب عند اسمك المحيط فى مقام السماع العام الإلهى» .

والسيف القاطع

الذى يقطع الأكوان عنك كما قال أيضا : وقلدنى سيف : ﴿**جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا**﴾ (١) . فإنك يا أخانا فى الله

---

(١) الإسراء : ٨١ .

تعالى كلما أكثرت من هذا الذكر الذى اختصنا الله تعالى به وصلت إلى الجمعين. فـ(لا إله إلا الله) تجمع بينك وبين الحق سبحانه وتعالى، و(محمد رسول الله) تجمع بينك وبين حبيب الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذان الجمعان لا حد ولا حصر لأنواع الفيوضات فيهما.

حكم جعفرية

- وعلى قدر الإكثار تتزاحم عليك الأنوار.
- وعلى قدر الاستعداد يتنزل عليك الامداد، - وعلى قدر الانفصال يحصل لك الاتصال.
- وعلى قدر ملازمتك لأحزابنا تشرب من شرابنا.
- وعلى قدر تمسكك بالكتاب والسنة تنال الكمال والثبات والمنة.
- وعلى قدر تمسكك بالشريعة الغراء فى نفسك وأهلك تفتح لك أبواب وصلك.
- واعلم يا أخانا أن الأمر جد وليس بالهزل؛ لفلا تستصغرن شيئا من الأمور المحرمة فى نفسك وأهلك، فترى عند الله تعالى صغيرا ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾ (٢).

فمن لم يكن له فى قلبه تقوى، ليس فى سبيل إرادة الحق يقوى، فلا تدار لخلق الله فيما يغضب الله عنك سره يوارى، ولا تأخذك فى الله لومة لائم تنل من الله نفائس الغنائم.

- فما نال من هاب الرجال، وأحب المال، واشتغل بقيل وقال، فاستهوته الأوهام، فصار كالأنعام.

---

(٢) الحج: ٣٢.

ـ فلا تخض فى طريقى هذا ولا تتكلم فى السالكين فيه، فإنك لا تدرى حالهم ولا تفقه مقالهم، ولا الذى بينى وبينهم، حتى تكون على القدم الراسخ الذى لا تزلزله شبهة بوجه من الوجوه.

ـ وعليك بالإعراض عن الدنيا ما استطعت، فإن الذى يقبل عليها بيننا وبينه حجاب القطيعة.

فما دعوناكم إلينا لنطعمكم الجيفة، ولكن لتدعوا ربكم دعاء خشية وخيفة، وقد رضينا فيها بالله ربا وبالإسلام دينا، وبسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبيا ورسولا، وبالقرآن إماما وبالكعبة قبلة، وبالمؤمنين إخوة.

ـ طريقنا هذا طريق الله تعالى المجرد عن شوائب الدنيا وكدوراتها، ليس لنا رغبة إلا التوجه إلى الحق سبحانه وتعالى قاطعين جميع العوائق والعلائق والأغيار النفسية متخلقين بالكتاب والسنة فى جميع أحوالنا وتطوراتنا وحركاتنا وسكناتنا، راضين به عن غيره، عاكفين على بساط أنس محبته فى الدنيا قبل الآخرة.

علو الهمة فى الله تعالى

قال شيخنا رضى الله عنه طريق الله تعالى: عبادته وذكره، والمطية فيه علو الهمة، قال عليه الصلاة والسلام: «علو الهمة من الإيمان».

وقال سيدى أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه لتلميذه الختم رضى الله عنه: «يا بنى أعنى على نفسك بعلو همتك».

ويقول له: اجعل جميع أوقاتك عبادة وذكرا وإرشادا حتى يقتدى الناس بك ولا تظهر لهم غير ذلك. اهـ.

المعنى الصوفى لكلمة: طريق

الطاء: طهر ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت

ويطهركم تطهيرا﴾ [٣].

والراء: رحمة ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت﴾ [٤].

والياء: يقين.

والقاف: قرب من رب العالمين.

فأساس الطريق: طهر باطنى وظاهرى وبينهما ارتباط.

قال سيدى أحمد زروق بن أحمد بن محمد بن عيسى المالكى البرنسى الفاسى رضى الله تعالى عنه المتوفى سنة ٨٩٩ هـ.

«على قدر طهارة الظاهر والعناية بها يحصل الخشوع فى الصلاة» انتهى كلامه.. فيطهر ثوبه وبدنه ومكانه وطعامه وشرابه ولسانه وسمعه وبصره وجميع جوارحه من كل ما يغضب الله تعالى، فتتنزل عليه رحمة الله تعالى فى جميع جوارحه وثوبه وبدنه ومكانه، فيكون محاطا برحمة الله حيثما كان وأينما كان وكيفما كان.

﴿وجعلنى مباركا أين ما كنت﴾ [٥] ويطهر باطنه من سوء العقائد، فتتنزل على قلبه الموائد، ومن الوسواس الخناس، فتطيب منه الأنفاس، ومن الغفلة عن عالم الغيب والشهادة، توهب له دراري جواهر الإفادة، وعن الحظوظ النفسية، توهب له الرتب العلية، وعن حب الدنيا والمال تفتح له إلى المعارف أقفال، ومن الأنس بغير القدوس، يخرج من أنس النفوس، ومن حوله وقوته ورعونته، يدخل فى حظائر قدس الحق وحضرته.

ويطهر الباطن من التلذذ بغير مناجاة الباطن، [٦] يجد الحب

(٣) الأحزاب: ٣٣. (٤) هود: ٧٣. (٥) مريم: ٣١.

(٦) المراد به رب العزة تبارك وتعالى.

الإلهى فى قلبه أجل ساكن .

ويطهر النيات من الأغراض ، خشية أن يكون العمل فى انتقاض ، ويطهر الرغبات ، خشية أن يقع فى السيئات ، وأدمن القرع لباب ربك ، فمدمن القرع للأبواب يوشك أن يفتح له يوما ما .

فما تيمم بالتراب إلا من فقد الماء ، وطهر صيامك ، وحجك وقيامك وصلاتك وزكاتك ، وقراءتك وذكرك ، وجميع أقوالك وأفعالك وأحوالك بماء طهر قدس الإخلاص النازل من مزن الشهود الإلهى حتى تحيى به جميع الصادرات منك . إذ الحياة حياتان يتعلقان بك : حياة روحك بالإيمان ، وحياة قلبك وحياة عملك بالإخلاص ، فمن لا إيمان له فهو ميت ﴿أو من كان ميتا فأحييناه﴾ (٧) . ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ (٨) وإنما يصعد الحى لا الميت .

حياة الروح والقلب

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك قال تعالى : ﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾ (٩) حياة الروح بالإيمان ، وحياة القلب بالعمل الصالح .

واعلم يا أخانا فتح الله عليك فتوح العارفين به والمقبلين عليه : أن الروح الحية بالإيمان غذاؤها الأعمال الصالحة الحية ، فهى دائما أبدا تتغذى بها كما يتغذى الجسم الحى بأنواع الطعام الحية بالفيتامينات . ولا يرضى بالتراب والحجر . فإذا مات سكن التراب والحجر .

---

(٧) الأنعام : ١٢٢ .

(٨) فاطر : ١٠ . (٩) النحل : ٩٧ .

كما أن الكافر المحكوم عليه بالموت يكتفى بالمعاصى الميتة المجردة عن فيتامينات الحياة.

ألا ترى أن الزانى حين يزنى يصاب غالبا بالأمراض الفتاكة كالذى يأكل الزجاج والحجارة؟! ويقال: «شبيه الشىء منجذب إليه».

فالأعمال الصالحة للأرواح الصالحة، والأعمال الخبيثة للأنفس الخبيثة. قال عليه الصلاة والسلام: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»(١٠).

ومن العطاء أن تعطى نفسك لربك

وجعل الله سببا للتيسير للخير ﴿فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى * فسنيسره لليسرى﴾(١١).

ومن العطاء أن تعطى نفسك لربك الذى اصطنعك لنفسه، كما قال تعالى: ﴿واصطنعتك لنفسى﴾(١٢).

ومن العطاء أن تعطى نفسك لعبادة ربك التى خلقك من أجلها: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾(١٣) لأنك إذا أعطيت نفسك لله يسرك الله لليسرى، ومن أنواع اليسرى بل وأجلها ما أشار إليه شيخ الأولياء سيدى السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه بقوله: «ثم

---

(١٠) الحديث رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس وعن عمران بن حصين وهو حديث صحيح.

(١١) الليل: ٥ ـ ٧. (١٢) طه: ٤١. (١٣) الذاريات: ٥٦.

تأخذنى يد العناية الإلهية إليها فتجذبنى جذبا قويا مغمورا بالنور مصحوبا بأنواع اللطف والرحمات فتلقينى فى وسط لجة بحر الذات فتغرقنى فيه غرقا لا حد له ولا حصر حتى تكون ذاتى كلها بصرا ذاتيا إلهيا صرفا من جميع الجهات».

قال مهبط الأنوار والأسرار سيدى الإمام صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه: وهناك يحصل التخلى يعقبه التجلى:

*إذا ما بدت ليلى فكلى أعين * وان هى ناجتنى فكلى مسامع*

وإذا كانت الذات بصرا إلهيا أدركت ما لا يدركه المدركون، وأبصرت ما لا يبصره المبصرون:

*قلوب العارفين لها عيون * ترى ما لا يراه الناظرونا*

وقوله رضى الله تعالى عنه: «فتفيض على جميع ذاتى أنوار شهود الذات فيضا منزها عن الحدود والكيفيات».

قال سيدنا ومولانا خزينة الأنوار والأسرار الحسينية فضيلة الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه: واعلم يا أخانا أنه كما لا حصر لشهود الذات فى قلبك لا حصر لفيوضات الذات على روحك، وكما أخفى سر روحك عنك أخفى حصر فيوضاته عليك، وكما أخفى عنك اتصال روحك به أخفى عليك اتصال فيوضاته النازلة عليك به، وهكذا يا أخانا لا تزال تسبح فى بحر منزه عن الحدود والكيفيات، طول الحياة وبعد الممات، جادا على منهاج سراج أفق الألوهية ومعدن الأسرار الربانية، مصحوبا بنوره، مغمورا فى ألطاف ربك، وفى قوله رضى الله

عنه: «مغمورا بالنور مصحوبا بأنواع اللطف والرحمات» قال سيدى الولى أبو سيدى عبد الغنى الغوث سيدى صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه: فيه الإشارة إلى الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم إذ بها يكون صلى الله عليه وآله وسلم معك، وهو النور الذى يمكنك أن تبصره؛ لأن نور الذات الأقدس لا يرى فى الدنيا، واللطف والرحمة يتنزلان عليك بسبب الصلاة عليه كما فى الحديث «من صلى علىَّ مرة صلى الله عليه بها عشرا» (١٤) وصلاة الله عليك رحمة عليك ولطف بك.

ولنرجع إلى تفسير «طريق» فالطاء طهر، وقد تقدم شرحه.

والراء: رحمة.

لأنك إذا تطهرت فقد أعددت نفسك لرحمة ربك وهى الطاعة قال تعالى: ﴿**ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا**﴾ (١٥).

والمعصية عذاب لمن لم يطهروا ظاهرهم وباطنهم، فمتى طهُرت فقد رَحَمت ورُحمت.

فالطهر كحفر الأساس، والرحمة كأول بناء يوضع فى الأساس، قال عليه الصلاة والسلام: «من لا يرحم لا يرحم» فمن رحم نفسه بتطهيرها من معاصى ربها رحمه الله بطاعته والتوفيق إليها، فدخولك فى طريق أهل الله سبب يوصلك إلى رحمة الله، قال تعالى: ﴿**ومن أراد الآخرة**

(١٤) رواه أحمد بن حنبل وغيره عن أبى هريرة، وهو حديث صحيح.

(١٥) النور: ٢١.

وسعى لها سعيها وهُو مُؤْمن فأولئك كان سعيهم مشكورا﴾ (١٦).

فطريق الله هو السعى الموصل إلى رحمة الله تعالى، ومن أخطأه فقد أخطأ الرحمة.

«والياء: يقين».

هى عبارة عما يحصل للإنسان الذاكر بسبب الواردات والكشف مما يجعله يزداد إيمانا ويقينا قال تعالى: ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا﴾ (١٧).

ومن الآيات المعجزات للرسل عليهم الصلاة والسلام، كقوله تعالى: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر * وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾ (١٨).

ومن الآيات كرامات الأولياء الخارقة للعادة يزداد بها الولى إيمانا ويزداد غيره من المؤمنين إيمانا.

«والقاف»: قرب.

قرب من الله تعالى، وذلك بعد الطهر والرحمة واليقين كما قال سيدى على أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه:

واقرب منى قربا تمحق به عنى كل حجاب محققه عن إبراهيم خليلك فلم يحتج لجبريل رسولك ولا لسؤاله منك، وكيف لا يحجب عن مضرة الأعداء من غيبته عن منفعة الأحياء؟.

---

(١٦) الإسراء: ١٩. (١٧) الأنفال: ٢. (١٨) القمر: ١، ٢.

قوله : طريق الله

الإضافة للتشريف، أى من دخله كان محفوفا ببركة الله تعالى ولطفه، وبره وكرمه وحفظه وعنايته ووقايته، وإكرامه وإنعامه، وإحسانه وبركاته، وواردات وألطافه الظاهرة والخفية ممتدا من شجرة الأصل النورانية.

فتتزاحم عليه العلوم والمعارف، وتتنزل عليه الرقائق واللطائف.

قال سيدى عبد السلام الأسمر رضى الله تعالى عنه: أخبرنى جدى عليه السلام: عن تالى وردى يموت على الإسلام.

وقال رضى الله تعالى عنه: من تلا وردى بإذن الله يبرأ ويعيش فى الدنيا فرحان.

وقال رضى الله تعالى عنه: يا داخل حزبى بشراك. الخير أتاك. فلا تخف كيد الشيطان.

قال شيخنا رضى الله تعالى عنه:

«أن العاقل الذى يريد نجاة نفسه من جميع المهالك، ويريد أن يدخله الله فى سلك المقربين فى جميع المسالك».

قال سلالة آل البيت سيدى صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه: عرف بعض العلماء العقل بأنه نور روحانى، به تدرك النفس العلوم

الضرورية والنظرية، وهو من أعظم النعم على الإنسان، إذ به يكون إنسانا، وبغيره لا يساوى بهيمة، وقد جعل الله به التكليف، وبدونه يرفع القلم.

قال ابن عاشر رضى الله تعالى عنه: «وكل تكليف بشرط العقل».

قال صاحب الورد الثرى سيدى صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه: العاقل هو الذى يفكر فى نجاة نفسه من نفسه. قال تعالى: ﴿إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى﴾ (١٩).

فنجاتك بعقلك من سوء نفسك بما سيذكره لك الشيخ ودخولك فى حضرة المقربين.

قوله رضى الله تعالى عنه:

«إذا أراد أن يدخل فى أمر من أموره قولا أو فعلا فليعلم أن الله تعالى لا بد أن يوقفه بين يديه ويسأله عن ذلك الأمر، فليعد الجواب لسؤال الحق تعالى قبل أن يدخل فى ذلك الأمر، فإن رأى الجواب صوابا وسدادا يرتضيه الحق تعالى ويقبله منه فليدخل فى ذلك الأمر فعاقبته محمودة دنيا وأخرى».

قوله رضى الله تعالى عنه:

---

(١٩) يوسف: ٥٣.

«إذا أراد أن يدخل فى أمر من أموره»

قال وحيد عصره وزمانه صاحب الأنوار والأسرار سيدى صالح الجعفرى رضى الله عنه: معناه نوى أن يقوله أو أن يفعله، والنية هى العزم على الشىء مقترنا بفعله، ومحلها القلب، والقلب بيت التجلى، ومكان التخلى والتحلى، وتارة يكون مع ملك، وتارة يكون من شيطان.

قال السهروردى رضى الله تعالى عنه: والذى يكشف لنا عن هذا ويوضحه لنا الحديث النبوى، قال عليه الصلاة والسلام: «ان للملك لمة، وللشيطان لمة. فلمة الملك إيعاد بالخير وتكذيب للشر، ولمة الشيطان إيعاد بالشر وتكذيب للخير» اهـ.

ونقل الإمام الشريف السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه فى كتابه روح السنة ما نصه:

قال عليه الصلاة والسلام: «ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فإن ذكر الله خنس وان نسى التقم قلبه» (٢٠).

واعلم يا أخانا فى الله تعالى أن الخاطر الذى يخطر بقلبك طالبا منك فعلا أو قولا فاعرضه على الكتاب والسنة، فإن قبلاه فاعلم أنه من

---

(٢٠) رواه ابن أبى الدنيا وأبو يعلى فى مسنده والبيهقى فى شعب الإيمان عن أنس رضى الله تعالى عنه، وخطم الدابة: ما برز من أنفها وفمها، وخنس: انقبض.

الملك فسارع فى إنفاذه، وان لم يقبلاه ففر منه فرارك من السبع واعلم أنه من الشيطان.

وقد يوسوس الشيطان للإنسان بأشياء لو نطق بها لكفر، فإذا وصل إلى ذلك فليعلم أنه وصل إلى كمال الإيمان، ولا يجادل الشيطان فإن المجادلة تزيده تمكينا، كما نقل ذلك عن سيدى أحمد زروق رضى الله تعالى عنه ونظمه الناظم بقوله الذى سمعته عن شيخى المحدث الشيخ حبيب الله الشنقيطى رحمه الله تعالى بالمسجد الحسينى:

وما به يوسوس الشيطان * والقلب يأباه هو الإيمان

فلا تجادل عنده اللعينا * فإنه يزيده تمكينا

قاعدة أسسها زروق * ولم تزل أقواله تروق

قال شيخنا رضى الله تعالى عنه:

. . قولا أو فعلا

يقول سيدى العارف بالله تعالى الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه: القول ما يلفظ به اللسان، والفعل هو الذى تفعله الجوارح، وعلى كل ثواب وعقاب، وفى كل نور وظلمة، وسعادة وشقاوة، ورضا وسخط، وراحة وتعب، وقرب وبعد، وجنون وعقل، وعز وذل، وغنى وفقر، وعلم وجهل، وبركة ومحقة، وعدل وظلم،

وقبول ورد، وتقدم وتأخر، وجنة ونار.

قال الله تعالى: ﴿ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا﴾ (٢١).

وهذا الفرقان هو المميز الذى يعرف به الإنسان الخير وما يتبعه، والشر وما يتبعه، وأهل تجلى الأفعال يحجبهم عن كل ما يغضب الله من قول أو فعل.

قوله رضى الله تعالى عنه:

فليعلم أن الله تعالى لا بد أن يوقفه بين يديه ويسأله عن ذلك الأمر.

الوقوف

بين يدى الله تعالى

يقول العارف بالله تعالى سيدى الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه: الوقوف بين يدى الله تعالى يوم القيامة أمر عظيم يرعب النفس ويخيف القلب، ويبعث على الفرار من كل ما فيه غضب الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون * ليوم عظيم * يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ (٢٢).

وكذلك الحساب أمر يبعث النفس على نقد عملها من قول أو

(٢١) الأنفال: ٢٩. (٢٢) المطففين: ٤ ـ ٦.

فعل، لأن من علم أنه سيحاسب حاسب نفسه، قال الشاعر:

ولو أنا إذا متنا تركنا * لكان الموت راحة كل حى

ولكنا إذا متنا بعثنا * ونسأل بعد ذا عن كل شىء

ومن المواقف: الصلاة، لأن المصلى يناجى ربه فإذا تذكر أنه يقف بين يدى الحق تعالى كل يوم خمس مرات كان زاجرا له عن الوقوع فى شىء يغضبه.

واعلم يا أخانا أن الأذان بمنزلة النفخ فى الصور، والقيام للصلاة بمنزلة البعث، لأنه وقوف بين يدى الله تعالى، وفيها سماع لكلام الله، وذكر لله، وخشوع وخضوع لله.

وإذا كان كذلك فكل من يتذكر أنه سيقف هذا الموقف لا بد أن ينهاه هذا التذكار للصلاة وموقفها وروعته وما فيها من خشوع وخشية لله عز وجل وتلذذ بسماع كلامه العظيم، واجلال وإكبار لمشاهدة هيبة كمال جلال الحق سبحانه، كل ذلك لا بد أن يكون ناهيا وزاجرا عن الدخول فى أمر لا يحبه الله ولا يرضاه، مصداقا لقوله تعالى: ﴿**إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**﴾ (٢٣).

إذا فهمت كلامى هذا لا بد أن ينقدح فى قلبك معنى غريب لهذه الآية الكريمة.

---

(٢٣) العنكبوت: ٤٥.

صلاة الواصلين

وصلاة السائرين إلى الله

وكثير من الناس يقول: فلان يصلى ويفعل المنكر، لأنهم فهموا أن المصلى يستحيل عليه فعل المنكر، ولعل معنى «تنهى» يختلف باختلاف الأشخاص، فمنهم من تنهاه عن الوقوع فى المنكر بمعنى تمنعه، ومنهم من تنهاه بعد الوقوع بمعنى تلومه وتؤنبه، فالأول: صلى صلاة الواصلين، والثانى: صلى صلاة السائرين ﴿عسى الله أن يتوب عليهم﴾ (٢٤)، وكذلك تلاوة القرآن تعتبر كحساب من الله تعالى للإنسان، فمن صلى كان كمن وافى الموقف، ومن سمع القرآن كان كمن وافى الحساب:

فكم لك من موقف وأنت لا تتفكر.

وكم لك من محاسبة وأنت لا تتدبر.

ونومك موت، ويقظتك بعث.

فكم لك من موت وأنت لا هى.

وكم لك من بعث وأنت ساهى.

قال شيخنا رضى الله تعالى عنه:

«فإن رأى الجواب صوابا وسدادا يرتضيه الحق سبحانه وتعالى ويقبله منه فليدخل فى ذلك الأمر فعاقبته محمودة دنيا وأخرى».

(٢٤) التوبة: ١٠٢.

الحياة الطيبة
فى صحبة الحق سبحانه

قال سلطان العارفين وقدوة المحققين سيدى الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه: فبادر بالدخول فى كل أمر من قول أو فعل رأيت جوابه مقبولا وفعله مرضيا فإنك ستلقى أمرين عظيمين: فى الدنيا حياة طيبة، وفى الآخرة أجرا عظيما، ويصدق عليك قوله تعالى:

﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ (٢٥).

وأعظم شىء فى الحياة الطيبة صحبة الحق سبحانه وتعالى ومشاهدته والأنس به، والتلذذ بذكره، ومناجاته ودعائه، وبذلك يكون فى جنة المشاهدة التى شرفها التواضع، كما قال سيدى عمر بن الفارض رضى الله تعالى عنه:

تواضعت ذلا وانخفاضا لعزها
فشرف قدرى فى هواها التواضع

والتوجه فيها إلى الجمال العالى، كما قال أيضا رضى الله تعالى عنه:

جمالكم نصب عينى * إليه وجهت كلى
وسركم فى ضميرى * والقلب طور التجلى

وبذلك تشرب من صافى شراب بحر عشق سلطان العاشقين من رحيق مختوم ختامه مسك «وتجل لى يا إلهى بسر توحيد الذات

---

(٢٥) النحل: ٩٧.

المطلسم فى آية الأنانية الموسوية ﴿أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى﴾ (٢٦) حتى يكون ذلك السر روحا لذاتى من جميع الوجوه».

فقال ابن الفارض رضى الله تعالى عنه عند ذاك:

وصرت موسى زمانى * مذ صار بعضى كلى

وتقدم مولانا صاحب العلم النفيس سيدنا السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه فقال:

«وينادينى منادى التحقيق من حضرة القدس الأعلى بلسان التصديق ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ (٢٧) محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال سلطان المادحين الغوث سيدى صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه وأنت وارثه على قدمه تهدى بهديه إلى صراط مستقيم، مرآة الذات المحمدية لكل ذى بصيرة بصيرية، آخذا عنه بواسطة السلسلة المباركة المتصلة بذى المقام المحمود وبلا واسطة من طريق الجمع الحقيقى بالذى ليس معه لباب إغلاق، على بساط أنس «واجمع بينى وبينه كما جمعت بين الروح والنفس ظاهرا» فيما يمكن إظهاره،

---

(٢٦) طه: ١٤. (٢٧) محمد: ١٩.

«وباطنا» فيما يجب إخفاؤه، وما ظهرت علوم وحكم، ومعارف وعوارف، وخوارق ودقائق ومدارك، وعجائب وغرائب، والزم فى البعض الكتمان يقظة فى عالم المشاهدة، ومناما فى عالم الغيب، «واجعله يا رب روحا لذاتى» بدل روح حياتى حتى أحيا به حياته مُمَدا منه مُمِدا لأحبابه، إذ لولا الواسطة لما حصلت المعرفة، فبه عُرفت وبه عَرفت الأحباب الذين حبهم منه وإليه والقائمين بالصلاة والسلام بين يديه، حتى غابوا به عن أنفسهم بنفائس درر معانى نظراته، فى ميادين مجامع حضراته، فنقلوا عنه ما عز نقله وظهر فضله:

وكلهم من رسول الله ملتمس

غرفا من البحر أو رشفا من الديم

قال شيخنا رضى الله تعالى عنه: «حتى تكون حقيقتى هى البرنامج الكبير الجامع المحيط بأسرار كتاب حضرات الديوان الإلهى، وأكون المفيض على الكل من الفيض الأقدس ينبوع عين مادة الوجود الإلهى الأزلى، نبيك سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلم نقطة وجه جمال حسن الحق المشهود الإلهى الأبدى، حتى لا يبقى على عين بصيرتى بل ولا على عين ذاتى كلها من خيالات الباطل من شىء حتى تنهزم جيوش الباطل كلها وتنعدم لما جاء نصر الله والفتح».

***

قال سراج الواصلين وقدوة المحققين الغوث سيدى صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه «والنصر والفتح هو الاجتماع الأعظم به صلى الله عليه وآله وسلم».

ولا شك أن مشاهدة الحسن المشهود، به يحصل تمام الشهود القاطع لمشاهدة خيالات الباطل الحاصلة باستتار شمس الحقيقة بأوهام غيوم سحب العلائق العائقة عن تمام الشهود، إذ بتمام شهوده يحصل النصر المنشود، الذى بسيفه يزهق كل باطل مفقود، ويظهر كل حق موجود.

قال شيخنا رضى الله تعالى عنه: وقلدنى سيف ﴿**جاء الحق وزهق الباطل أن الباطل كان زهوقا**﴾ (٢٨).

قال مفخرة السلف وقدوة الخلف الغوث سيدى صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه: أمام تلك الأنوار المحمدية والأسرار الأحمدية والنظرات الجمالية والهيبة الجلالية:

ومن تكن برسول الله نصرته
أن تلقه الأسد فى آجامها تجم
حاشاه أن يحرم الراجى مكارمه
أو يرجع الجار منه غير محترم
ومنذ ألزمت أفكارى مدائحه
وجدته لخلاصى خير ملتزم

---

(٢٨) الإسراء: ٨١.

وبذلك تتحقق الوراثة النبوية التى بها الجمع ونزول الفيض، حتى يكون هو المفيض على الكل بعد الاتصال بمن طارت منه رشاشات فاقتسمتها بحكم المشيئة الإلهية جميع المبدعات من بحر زاخر وديم فياض.

وكلهم من رسول الله ملتمس

غرفا من البحر أو رشفا من الديم

وكما قال ختم أهل العرفان سيدنا الشريف السيد محمد عثمان الميرغنى رضى الله عنه.

علمه منه العلوم منه العلوم * كعيون من بحور تمتلا

فكم لشيخنا علامة زمانه وفريد وقته وأوانه مولانا الشريف ذى العلم النفيس السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه من فيوضات تلقاها، ومعارف أملاها، فأضاءت به قلوب صفت، ووصلت به أنفس رقت، ووصلت به رجال تخلت، وشاهدت به أرواح تعلت، فكان علمه كالاكسير، الذى به النحاس إلى ذهب يصير.

فكم حل من أسير، وأغنى من فقير.

وكم هذب بكلماته، وربى بنظراته، وله فى كل زمان تربيات، ومع كل مريد كرامات، فهو كالشمس مدت شعاعها، وأضاءت بقاعها، فلم تحجبها السماء، إلا عمن كان تحت سماء، فأخرج نفسك من تحت سقف كسلك وخمولك، كى تحظى بعد تلاوة أورادك بنورك ووصولك، فترى ما لا يراه الناظرون، وتصدق ما قاله العارفون، فابشر

بخير ما ساقك تسخير روحك إلى وردك المورود، فعن قريب ستحظى بحوض شيخك المورود، وإنك لهو كما هو أنت، بروابط أسرار أنوار لوامع علائق روابط عوالم أزل يوم أن نوديت فأجبت، يوم أن حصل التعارف، بينك وبين شيخك العارف، فعرفك وأنت له منكر.

﴿وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون﴾ (٢٩).

فلما قال لهم: «هل علمتم» عرفوه، وكذلك المشايخ لا يتعرفون للمريدين إلا بعد أن يعلم المريد علم الحقيقة، وتوهب له تلك الرقيقة فيقول لشيخه - إذ ذاك - أأنت الذى كنت معى هناك؟ فيحصل أنس بعد أنس، وقرب بعد لبس، ولكن بفضل الله الذى أحصى كل شىء عددا.

﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا﴾ (٣٠).

فبتزكية الله لعباده، يظهر فيهم أثر إرشاده.

فيوضات وأنوار جعفرية

«ملحوظة» فعليك يا أخانا فى الله بجولة فكرك فى تلك المعانى، بعد تطهيرك للأوانى، لعلك أن تدنو من باب دخلنا به كأسلافنا، دار بلا فنا، مفتاحه فنا، فإن أفنيت نفسك، فقد أبدلت أنسك، وفرقت بين الأنسين، لا سيما إذا واظبت على الحزبين الأولين، فقد تعجب منهما أرباب العصمة، فعليك يا أخانا بعلو الهمة، فقد آن لك ما آن،

---

(٢٩) يوسف: ٥٨.

(٣٠) النور: ٢١.

ولكل وقت أذان، فأذن مؤذن للبداية، وأذن مؤذن للنهاية، ففى أى المرحلتين ذات العيرين أنت، وهل سرق منك وقتك أم أنت للوقت حفظت؟ ! وهل ذكرتنى عند أورادك، أم شغلت عنى بأموالك وأولادك؟! فما حظى بنا، من نسى قربنا، ولا نال منا، من غاب عنا، ومن حكم العادات، حرم من البركات، ومن نظر إلى غيره، حرم من خيره وميره، ومن قال إنه قد مات، عوقب بالفوات، فانظر بعينى قلبك إلى من نظر إليك بهما ولا تكن من الغافلين.

فكم من غارف غرف، فهل بلغك ذلك حتى تشمر عن ساعد جدك لتغرف؟! وكم ساهر ليله ليتعرف فتعرف إليه الحق فعرف، فهل شمرت لتعرف؟! فانظر بعينى جنانك، وانظر إلى ثمرك إذا أثمر، ولا تعتقد وحدته لتشابه ثمره فإنه مختلف ألوانه، فيه شفاء للناس.

فأكثر من ذكر ربك بالغدو والآصال، ودع عنك شوارد القيل والقال، فما خاب من استهدى به، فعليك بهديه لعلك أن تهدى إلى صراط مستقيم.

ان الله قد اشترى منك نفسك فهل حصل منك القبول، حتى تكون على القدم الراسخ فى متابعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فلا تخرج بعد الشراء على مالك يحبيك الله، وأكثر من قول (لا حول ولا قوة إلا بالله)، فإنها كنز يغنيك، والتجاء يكفيك.

فبخ بخ [٣١] لمن لازم هذا التهليل الجليل، وجعل ديدنه (لا إله إلا

(٣١) بخ: بسكون الخاء وكسرها: كلمة تقال عند الرضا والإعجاب بالشىء.

الله محمد رسول الله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله) حتى يفتح الله له حانوته ومخزنه، فيه ﴿مرج البحرين يلتقيان﴾ (٣٢) حقيقة وشريعة، ﴿بينهما برزخ لا يبغيان﴾ (٣٣).

«أنت على علم من علم الله لا أعلمه أنا، وأنا على علم من علم الله لا تعلمه أنت»، ولكن كما جئتنى بأمر ربك لا بأمر نفسك.

﴿وما فعلته عن أمرى﴾ (٣٤) ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ (٣٥).

صنفان لا يباعان وذم بائعهما:

﴿أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة﴾ (٣٦) ولكن يؤجلان ﴿إن يوم الفصل كان ميقاتا﴾ (٣٧).

فيا خسارة نفس فى تجارتها
لم تشتر الدين بالدنيا ولم تسم

فللؤلى بَحرَيْكَ آلان الحديد، ولمرجانهما معان ولمعان كل يوم يزيد.

﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ (٣٨)، ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾ (٣٩)، ﴿وزدناهم هدى﴾ (٤٠).

---

(٣٢) الرحمن: ١٩. (٣٣) الرحمن: ٢٠. (٣٤) الكهف: ٨٢.
(٣٥) الرحمن: ٢٢. (٣٦) البقرة: ٨٦. (٣٧) النبأ: ١٧.
(٣٨) يونس: ٢٦. (٣٩) مريم: ٧٦. (٤٠) الكهف: ١٣.

فباضاءة لؤلئك ومرجانك، تبصر أسرار دقائق حقائق إسلامك وإيمانك، فلا تخرج من بحرك الأول، بغير مهرك فعليه المعول، ولا من بحرك الثانى، بغير معرفة المثانى، فلا تغفل عن بحرى شريعتك وحقيقتك حتى تنال منهما اللؤلؤ والمرجان، وبهما يكشف لك عن حقيقة الإنسان ﴿ولا تقولن لشيء إنى فاعل ذلك غدا﴾ (٤١) فإنك لا تفعل شيئا ما ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ (٤٢)، فإن أفنيت فقد شاهدت، ولا يكون ذلك إلا بفنائك، وإن شاهدت فما أفنيت. ويكون ذلك ببقائك.

فعجيب أمرك فاعجب منه ولا تعجب من سواك، ولا يشغلك ما أشغل غيرك عمن سواك، فما أنت إلا دليل لغيرك عليه بما أبدعه منك، فكيف تحجب بك عنك، وأنت أثر «كن فيكون»، ويقول لك ﴿وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾ (٤٣).

بحر شريعتك لولاه ما كانت حقيقتك، وبحر حقيقتك لولاه ما تمت شريعتك.

قال أبو عبد الله الإمام مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه: «من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق» اهـ. وما الطريق إلا موصل، فلا تجعله قاطعا بهجرانك مورده العذب، فلا ركبت مركب القرب لتصل، ولا جذبتك جواذب الجذب. الهجرة قبل الفتح وأنت ما هاجرت حتى يفتح لك

---

(٤١) الكهف: ٢٣. (٤٢) الأنفال: ١٧. (٤٣) الذاريات: ٢١.

الباب، ولكنك أخلدت إلى الأرض، أرض نفسك فأرضيتها واتبعت نهج غير أولى الألباب، فلا خوف أقلقك من غيره له حتى تطمئن بذكره، ولا بعث فيك غيرة تسبيح الطائر فى وكره.

أما آن لك أن تتخلص من أقفاص نفسك وظلمات حجبك، إلى أنوار تجليات مشاهدة ربك، حتى تتنزل عليك كمالات لا تتناهى، فتدخل فى فلاح ﴿قد أفلح من زكاها﴾ (٤٤) فتكتسى من سندس ﴿عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق﴾ (٤٥) ونفسك قد زكت وربك ناداها: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾ (٤٦) ذكرت فزكت فصفت فاطمأنت فصغت فسمعت «ارجعى» عن السوى، فقد أضر بك البعد عن خالقك، فهلم يا نفس هلم «إلى ربك» الذى خلقك فسواك، وبما ناسب مستواك رباك، وكنت ميتا بذكره أحياك، وفى وادى قدسه أجلسك وهنّاك، «راضية» به عمن سواه لما مزقت للسوى، وأعرضت عن الملك وما حوى، فصارت بذلك «مرضية» عند من على العرش استوى.

فأذن لها بالدخول فى حضرة أهل الوصول «فادخلى فى عبادى» فهم أفضل من يحبهم، ولولاهم ما خلقت الجنة، فهم الوارثون وهى تراثهم، وهم المنعمون وهى نعيمهم.

«وادخلى جنتى» (٤٦) جنة الشهود الإلهى فى الدنيا معهم فى

---

(٤٤) الشمس: ٩. (٤٥) الإنسان: ٢١. (٤٦) الفجر: ٢٧ ـ ٣٠.

حضرات أذكارهم «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا» (٤٧) وجنة النعيم في الآخرة ﴿إن المتقين في جنات ونهر﴾ (٤٨).

لا يحجب عنا من صار منا

فعليك يا أخانا بالتذكر فيما ذكرناه لك، لعلك أن ترشد بنفسك إلى نفسك فإنها لك آية، فتطوى عنك كثائف الحجب الظلمانية التى أثقلتك ووارتنا عنك، وما وارتك عنا. وكيف يحجب عنا من صار منا؟

فإلى متى وأنت على ما أنت، وقد سارت النجب حولك وفرحت بهم أربابهم، وقد شغلهم نعيمهم عن شواغل أنفسهم عندما شاهدوا ما أمروا به ﴿فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ (٤٩).

وان فى أحزابنا ما تنطق من مذاقته البكم، وتسمع له الصم، وإنها لجنة معجلة لمن عكفوا عليها، فما ذاقها ذو ذوق إلا ولجت به فى لجج بحار جواهر المعانى الغالية الأثمان، وشعت عليه شموس التجليات التى تغيبه عن الأكوان، حتى يقول: «كان الله ولا شىء معه وهو الآن على ما عليه كان».

فتارة يكاد يذيبه خشوعه.

وتارة تسيل على الخدين دموعه.

وتارة يرى أمرا عجيبا

---

(٤٧) رواه أحمد بن حنبل وغيره عن أنس رضى الله عنه، وتمامه: «قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر» وهو حديث صحيح.

(٤٨) القمر: ٥٤. (٤٩) يونس: ٥٨.

وتارة يرى نفسه غريبا.

وتارة يكاد أن يطير من الأجساد.

وتارة يهجر النوم والوساد.

وتارة يقمر الليل بقمره.

وتارة يترقب نداء الحق بسحره.

وتارة يـذكر حال شيخـه فتخضر أشجـاره، وتفوح أعطاره، وتتـزايد أنواره، وتمد إليه موائد القِرى، ويدعى إلى صافى الشراب بأم القُرى.

فلا عجب فقد أملاها من أملاها، فطابت بإملائه النفيس، وأعطاها لمن وافاها وهو صاحب العلم النفيس.

إياك أن تشـاهد نفسك معنـا

فجل بفكـرك فى عجائب كلمـاتها، ولازم عليهـا حتى تتصل أرض قلبك بميازيب غيثها فيصب عليه من جواهر مكنـوناتها لترشد بها أنت وترشـد من أردناه وأرادنا من إخوانـك أحبابنا، وإياك ومشـاهدة نفسك معنا، فإنها حجـابك عنا، وقاطعك عن امدادنـا، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم، وهو حسبك، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

فالشيخ والـد الروح، وهو أفضل من والد الجسـد، وأحرص عليك منه، فلا يمل قلبك لغيـرنا عنا، وعندنا مـا لو كشف لك الحجاب عن بعض مكنوناته لذهلت نفسك.

وان لوامع بروق أحزابنا تنيرك إذا لمعت، وتصدع عدوك إذا صدعت، وتغنى فاقتك إذا تليت، وتملأ قلبك علما إذا قطرة به نزلت، وما صدود نفسك عنها إلا لنفاستها، وما تقاعست عنها إلا لتقاعدك عن الكتاب والسنة اللذين هما أصل لها ومنبع فيض فيضانها وشمس قمر لمعانها.

فما أردته من أوراد غيرنا ففيها أودع وزيادة، وذلك من فضل الله علينا ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ (٥٠).

فكم أشغلت نفسك عنا بأمور تريد فتح أبوابها فما فتحت لك الأبواب، وأحزابنا مفتوحة لك أبوابها وتعرفك حجابها، وقد أذناك بها كما أذن لنا من ينبوع الحقائق الوجودية صلى الله عليه وآله وسلم.

فادن أيها المريد من حضرة الشيخ تنل ما تريد وفوق ما تريد.

قال سيدى عبد السلام الأسمر رضى الله تعالى عنه:

أدن منى نعطيك مناك * ولا تخالف علىَّ

الاستقامة خير من ألف كرامة

لأن كل شيخ مأذون من الحضرة العلية النبوية ففى أوراده إمدادات لأتباعه وأولاده، وبالعكوف على الأوراد والملازمة والمداومة يظهر لك ما أشرنا به إليك، لكن بشرط الاستقامة التى هى خير من ألف كرامة لمن استقام فى طريقنا وتبتل، عليه البركات تتنزل.

---

(٥٠) يونس: ٢٦.

﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة﴾ . . إلخ (٥١).

معنى «ثم استقاموا»

قال سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه لجماعة من الصحابة رضى الله تعالى عنهم :

ما تقولون فى قوله تعالى : «ثم استقاموا»؟ قالوا : أى لم يذنبوا، قال : حملتم الأمر على ما هو أشد، قالوا : وأنت ما تقول؟ قال : لم يرجعوا إلى عبادة الأوثان .

وروى عنه أيضا أنه قال : استقاموا قولا وفعلا .

وعن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : لم يراوغوا روغان الثعالب .

وعن سيدنا عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه : أخلصوا العمل .

وعن سيدنا على رضى الله تعالى عنه وكرم الله وجهه : أدوا الفرائض .

وعن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى : زهدوا فى الفانية، ورضوا بالباقية .

قال شيخنا رضى الله تعالى عنه :

«وأما إن رأى أن ذلك الجواب لا يقبله الحق تعالى منه ولا يرتضيه فليشرد من ذلك الأمر، أى أمر كان فإنه وبال عليه إن دخل فيه»(٥٢).

---

(٥١) فصلت : ٣٠ .

فإن قيل: إن المكروه هو الذى لا عقاب فى فعله، فكيف يكون وبالا ؟

«الجواب»: أن الوبال أقسام ومنه الوبال الروحانى القلبى، ولا شك أن المكروه يضر الروح والقلب.

فإن قيل: إن حديث النفس بالسوء معفو عنه فكيف يكون وبالا ؟

قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله تجاوز عن أمتى ما حدثتها به أنفسها» (٥٣).

«والجواب» كما قال سيدى على أبو الحسن الشاذلى رضي الله عنه: القلب له عينان يؤذيهما التفكر فى الحرام والمكروه كما يؤذى الريح الشديد البصر.

من شرد إلى الشيخ

فقد شر إلى الله تعالى

ومعنى الشراد إلى الله تعالى هو الدخول فى حلقات العلم كما فى الحديث: «أما أحدهما فأوى إلى الله فآواه الله».

---

(٥٢) اعلم أن الأمر فى هذا المعنى عام بمعنى الشىء الذى يعم الفعل والقول والنية، وهو إما أن يكون محرما أو مكروها، فالله تعالى لا يرضى بهما قولا ولا فعلا ولا نية، والخلاص هو الشراد أى الترك له أى لفعله أو التكلم به أو التحدث النفسانى.

(٥٣) الحديث رواه الشيخان والأربعة عن أبى هريرة رضى الله عنه ولفظه: «ان الله تعالى تجاوز لأمتى عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به».

ويكون أيضا باتخاذ المشايخ الذين يوصلون إلى الله تعالى، ومن له شيخ فليشرد إليه عند الوسواس وليجلس بين يديه، فإنه ترياق الأغيار ولا تنظر إليه نظرك إليه ولكن انظر إليه ظاهرا وإلى شيخه باطنا، واستمع إليه ظاهرا وإلى شيخه باطنا ترى العجب العجاب، ويفتح لك الباب، ويسهل لك الوصول، ويؤذن لك فى الدخول، وحسن ظنك به مطيتك السريعة، حتى تأخذ ما عنده لك من وديعة، فهو الترجمان بينك وبين أهل البرازخ، أهل التحقيق والقدم الراسخ.

والشيخ المنظور إليه بالنظرين، رؤيته تقر بها العين، يذكرك الله مرآه، ويدنى روحك دعاؤه ورضاه.

قال عليه الصلاة والسلام: «أولياء الله الذين إذا رؤوا ذكر الله» أخرجه الإمام السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه فى كتابه المسمى روح السنة (٥٤)، وذلك لتعلق أرواحهم بالله تعالى وقربهم منه، فكان مثلهم كحامل المسك إذا دنوت منه شممت رائحة طيبة ذكرتك بصاحب الرائحة الزكية صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذلك حينما تشم تقول: اللهم صلِّ على سيدنا محمد.

كذلك الأولياء يذكرونك الله تعالى بما لديهم من جواذب جذبتهم وروائح روحتهم، وعرفان عرفهم، وقرب أعزهم، ونور سطع منهم، وسر سرى إليهم، وفيض فاض عليهم من معدن الفيوضات، وكلام تسمعه كالمدام.

---

(٥٤) وذكره السيوطى فى الجامع الصغير، وذكر أنه رواية الحكيم عن ابن عباس.

تارة تراهم صفوفا على الأقدام.

وتارة تراهم يقظة.

وتارة تراهم فى المنام، قطعوا عالم الحس فانزوى أمامهم الحس، ومزقت لهم العوائد، فإن زرتهم على أى حال قبل أو بعد نلت غالى الموائد.

أنفاسهم عطرية.

ونظراتهم روحانية.

وأحوالهم محمدية، جليسهم لا يشقى، ومريدهم بهم يرقى.

لابد من الوسيلة لبلوغ الطلب

﴿ففروا إلى الله﴾ (٥٥) إلى رسله عليهم الصلاة والسلام، وإلى علماء شريعته، وإلى أولياء حضرته، فإن الإنسان وحده قليل، وبإخوانه كثير، والذئب يأكل القاصية من الغنم، فلا تطلبن طلبا بغير وسيلة، لأن الوسائل هى الأسباب التى توصلك إلى المقدور، وتاركها يكون من المعتدين فى الدعاء، فإن الذى يسأل الله تعالى الذرية ولم يتزوج يكون معتديا لتركه الوسيلة، وهى السبب الذى يوصله إلى المقدور، والمدار كله على العلم إذ به الدنيا والدين.

قال عليه الصلاة والسلام: «ومن أرادهما معا فعليه بالعلم» يعنى الدنيا والآخرة.

---

(٥٥) الذاريات: ٥٠.

الشيخ العارف من سبل الله تعالى

والشيخ العارف من سبل الله تعالى الموصلة إليه، ومن هدى إليه فقد هدى إلى سبيل الله تعالى، لكن يبحث عنه بجد واجتهاد: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ (٥٦).

والعارف بالله تعالى: هو الذى عرف الله تعالى وقام بحقه، وعرف رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وقام بحقه، وعرف أولياء الله تعالى وقام بحقهم، وعرف المؤمنين وتخلص من تبعاتهم.

والعارف من عرف نفسه كما قيل: «من عرف نفسه عرف ربه».

فالنفس بها كمالات ونقائص، فمن عرف الكمالات فأبرزها، والنقائص فعالجها فذاك العارف.

عارف:-

العين: علم.

والألف: انفصال عن السوى اتصال بمن على العرش استوى.

والراء: رغبة فى الآخرة.

والفاء: فرار إلى الله.

فالمعرفة: علم وانفصال واتصال ورغبة وفرار إلى الحق سبحانه وتعالى.

---

(٥٦) العنكبوت: ٦٩.

العلم الكسبى والوهبى

والعلم علمان : كسبى ووراثى : قال عليه الصلاة والسلام «من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم» .

فالكسبى : يؤخذ من صدور الرجال كما قال لى سيدى عبد العالى رضى الله تعالى عنه قبل مجيئى إلى الأزهر: «العلم يؤخذ من صدور الرجال لا من الكتب» .

ووهبى : وهو أنواع :

وأوله : ما كان بواسطة روح الواسطة بينه وبين عين الحقائق صلى الله عليه وآله وسلم، وهو خفى وربما يخفى على المتلقى فضلا عن القارىء .

وإذا كان الفيض فى حال فربما خفى عن المريد المتلقى بعض ما كتبه إذا تنزل عن ذاك الحال، وقد يكون مناما، وقد يكون بين اليقظة والنوم، وقد يكون كلاما بواسطة شراب أو طعام يقدمه شيخه له، وقد يكون كالبذور فى أرض قلبه، وبحسب خصبها ينمو زرعها، وقد يكون عن الشيخ يقظة بمشاهدة قلبية أو مشاهدة ظاهرية .

والثانى : الاتصال بالحضرة النبوية، وهو اتصال عظيم يختلف باختلاف المقامات ﴿**وما منا إلا له مقام معلوم**﴾ (٥٧)، ﴿**هم درجات عند الله**﴾ (٥٨) .

---

(٥٧) الصافات: ١٦٤ . (٥٨) آل عمرانت: ١٦٣ .

وبحسب الدرجات تتنزل الفيوضات، وأعلاها درجة رؤيته صلى الله عليه وآله وسلم يقظة والسماع منه.

خـرق الحجب

واعلم يا أخانا بارك الله فينا وفيك أن رؤيته صلى الله عليه وآله وسلم يقظة تكـون على طريق خرق العـادة، وذلك بعد أن تصل إلى رؤيـة ما وراء الجدار ونحـوه، ولا يكون بعين البصر، وإنما يكـون بعين البصيرة القلبية، ويكـون فى حال عجيب، وعنـد احتجابه صلى الله عليـه وآله وسلم عنك ترجع إلى حالتك الأولى، وذلك لعلـو قدره صلى الله عليه وآله وسلم.

وإذا حضر صلى الله عليه وآله وسلم بمجلس ولم تحصل لك رؤيته ربمـا شعـرت باهتـزاز الأرض، وذلك لك دون غيـرك، وربمـا شممت رائحة طيبة.

أقرب الطرق لرؤية النبى صلى الله عليه وآله وسلم

وفى الصلاة العظيمية ما يكشف لك كثيـرا من مثل هذا، فعليك بها إن أردت أقرب الطرق وأهونها عليك بهذه الشروط وهى:

١ ـ أن تسبغ الوضوء مراعيا فضائله مع استعمال السواك.

٢ ـ صلاة ركعتين: الأولى بـالفـاتحة والنصـر، والثانيـة بـالفاتحـة والإخلاص.

٣ ـ بعد السـلام تـذكر ذنـوبك وتنـوى التـوبة النصـوح من جميع المعـاصى، ثم تتلو الاستغفـار الصغير سبعين مـرة والاستغفار الكبيـر

سبع مرات، ثم تتلو الفاتحة لشيخك وتشاهده بقلبك عن يمينك ثم تشاهد الحضرة النبوية أمامك.

ثم تتلو الصلاة العظيمية بقدر الاستطاعة وتفتح عينى قلبك عند قولك «تعظيما لحقك يا مولانا يا محمد يا ذا الخلق العظيم».

ولا تزال تترقى ما داومت على هذه الكيفية، وقد أشار إليها السيد الختم الميرغنى رضى الله تعالى عنه، وقليل من هذا خير من كثير.

فلا تجعلن قولى هذا منك موضع الإهمال، حتى يفتح الله لك ما تعسر من الأقفال.

واجتنب عند ذلك أكل البصل النيىء والثوم والكراث والفسيخ وكل ذى رائحة كريهة، ولا بد من حلق ما أمرت بحلقه، ونتف الإبط وتقليم الأظافر، وأن تطيب جسمك بالطيب وثيابك، والمسك أطيب، وبخور المستكى التركى مع شىء من العود أو عود الند.

قال ابن النحوى رحمه الله تعالى:

وإذا أبصرت منار هدى * فاحذر إذ ذاك من العرج
لتكون من السباق إذا * ما جئت إلى تلك الفرج
فهناك العيش وبهجته * فلمبتهج ولمنتهج

وقد وقف بنا القلم هنا، وسنرجع إن شاء الله تعالى فى ذكر مثل هذا إليك فى رسالة خاصة بالصلاة العظيمية.

قال شيخنا رضى الله تعالى عنه:

«فإنه وبال عليه إن دخل فيه».

قال سيدى الشيخ صالح الجعفرى: أى ذلك الأمر الممنوع شرعا.

والوبال: هو العذاب، فتارة يكون فى الدنيا والآخرة، وتارة فى الدنيا، وتارة فى الآخرة.

واعلم يا أخانا هداك الله وهدانا: أن مشايخ الطريق يقولون فى كلامهم: «تجمعنا الطاعة وتفرق بيننا المعصية».

وأى وبال أشد على المريد من التفرقة بينه وبين شيخه؟

فالشيخ باب الحضرة النبوية، والحضرة النبوية باب الحضرة القدسية، فمن عرف البابين دخل فى الحضرتين، قال سيدى الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه فى ذلك:

فبابك للمختار شيخك يا فتى

به الوصل بالمختار فى حضرة القرب

وبالسيد المختار ترقى إلى العلا

ويدنيك من رب الوجود بلا حجب

تنبيه خطير

وأردت بالشيخ شيخ الطريق الذى فى البرزخ، وأما الذى تلقيت عنه الأوراد فهو بابك إلى الشيخ صاحب الأوراد، وبدونه يتعذر عليك الوصول، ويكفى فيه استقامة الظاهر من فعل الواجبات وترك المحرمات، لأن طاعته لا تنفعك ومعصيته لا تضرك.

وإنما اتصالك بفعالك ومقالك وبشيخك المجازى هذا إلى شيخك الحقيقى المأذون من الحضرة النبوية.

«فائدة» رأيت فى منامى وأنا بالأزهر الشريف رجلا يقدم إلى الأزهر، ولاحت لى إشارة من سيدى السيد عبد القادر الجيلانى رضى الله تعالى عنه أن استقبله، وبعد الرؤية حضر رجل من الجزائر يبلغ الستين من عمره، وعليه عباءة مغربية خلقة، وكنت قد أحضرت ثوبا أبيض من السودان يسمى «شقة» وذهبت به إلى الخياط، وأمرته أن يجعله لى عباءة مغربية فماطلنى مدة شهرين، فلما ذهبت به إلى الخياط قال لى: هذا صاحب العباءة لا أنت، وخاطها فى يومها وأعطيتها له، ثم قلت له: ما اسمك؟ قال: أحمد الجيلانى. قلت: ما طريقك؟ قال: قادرى.

فمكث فى الأزهر أشهرا وهو يصوم النهار ويقوم الليل، ويجلس وحده منعزلا عن الناس، فدخلت عليه ذات يوم ونويت بقلبى أن ألتمس منه شيئا من الأسرار، فوجدته جالسا مستقبلا القبلة يذكر الاسم المفرد سرا بالمد «الله» ودموعه تتقاطر من عينيه، فجلست عن يمينه. فالتفت إلى ونظر بغضب وقال لى: لكونك أكرمتنى وخدمتنى تريد أن أعطيك سرا من أسرار الله؟ ما فى لك عندى شىء، ما فى إذن.

ثم هدأ غضبه وقال لى: يا بنى لكونك أكرمتنى سأدلك على شىء هو أعظم من السر الذى أنت تريده:

اعلم أن كل شيخ طريق مأذون من سيدنا رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم، فالمدد فى أوراده لمريديه، فعليك بأوراد الشيخ الذى أنت تنتمى إليه ففيها المدد لك لا فى غيرها، فلا مدد فى ورد بغير إذن، ولا إذن لمريد له شيخ فى غير أوراد شيخه، فلا تطلب شيخا غيره ولا وردا غير ورده.

وأصول الصوفية: تنحصر فى هذه الكمالات:

١ ـ فناء فى الشيخ.

٢ ـ فإذا رأى ذلك منك قدمك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٣ ـ فإذا رأى منك النبى صلى الله عليه وآله وسلم الفناء فيه صلى الله عليه وآله وسلم قدمك إلى الله تعالى.

ثم سافر هذا الرجل إلى المدينة المنورة ومكث بها زمنا، ثم رجع إلى بلاده، وتوفى بها عام ١٣٧٠ هـ تقريبا عليه الرحمة والرضوان

ومن الوبال على المريد إنكاره على شيخه المباشر، أو على شيخه الذى فى البرزخ، وعليه أن يسلم تسليما.

ثلاثة على خطر

سمعت من شيخى وأستاذى الذى هو كان سببا لى فى الخير الكثير أخذت عنه العهد منذ خمسة وثلاثين عاما وذكرت معه كثيرا، وخدمته ولازمته ورأيت منه الكرامات والبركات. سلالة السبط سيدنا ومولانا السيد الحسن رضى الله عنه، ألا وهو السيد محمد بن السيد عبد العالى ابن الإمام شيخ الطريقة ومعدن الحقيقة سيدنا ومولانا السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنهم أجمعين.

سمعته وهو شيخى وأستاذى السيد محمد عبد العالى الملقب

بالسيد الشريف يقول : **ثلاثة على خطر:**

ابن الشيخ ، وزوجته ، وتلميذه المقرب إليه .

١ ـ لأن ابنه يعتمد على جاه والده ويتكاسل عن العمل ، أما إذا اتبع والده نال حقين : حق العمل ، وحق القرابة .

٢ ـ والزوجة يخشى عليها مخالفة أمر الشيخ وغضبه ، أما إذا أطاعته فلها حقان : حق العمل بالأوراد ، وحق الزوجية .

٣ ـ والتلميذ المقرب من الشيخ ربما اطلع على عبادة الشيخ فاستقلها فى نظره ، أو يرى شيئا لا يعجبه فيظن سوءا فيهلك ، أما إذا أخلص للشيخ كان له حقان : حق الأوراد ، وحق الخدمة للشيخ» انتهى كلامه .

وممن نال ذلك الخير الشيخ إبراهيم الرشيد تلميذ سيدى أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنهما فإنه تتلمذ لسيدى أحمد ووالى خدمته حتى إن سيدى أحمد قبض ورأسه الشريف على حجر سيدى إبراهيم . نسأل الله أن يرزقنا رضا المشايخ ، ويصرف عنا شر غضبهم إنه نعم الكافى القدير .

ومن الوبال فى الدنيا رؤيته لنفسه شيخا مع الشيخ قبل أن يأذن له .

سمعت حكاية عن بعض العلماء :

أن تلميذا للشيخ الغزالى رضى الله تعالى عنه صار يدرس بالبلد

التى بها شيخه، فحدثته نفسه بالخروج من تلك البلدة وأنه استغنى عن الشيخ. فركب السفينة وسافر، ففى وسط البحر اضطربت الأمواج وتحركت السفينة، فقال للبحر: اسكن يا بحر إنما عليك بحر مثلك.

فمدت إليه سمكة من البحر رأسها وقالت له: يا أيها البحر ما قولك فى رجل مسخ هل تعتد زوجته عدة وفاة أم عدة طلاق؟

فسكت ولم يجب بشىء، وقال لملاح السفينة: رد السفينة إلى حيث بدأنا السير، فرجع إلى الشيخ الغزالى، فقال له: ما الذى ردك من سفرك؟ قال: سؤال سئلته.

ثم ذكر له سؤال السمكة، فقال له الشيخ الغزالى:

١ ـ ننظر فيه إن كان مسخ حجرا اعتدت زوجته عدة وفاة.

٢ ـ وإن كان مسخ حيوانا آخر اعتدت عدة طلاق.

فرجع التلميذ، فلما وصل المكان من البحر خرجت له السمكة، فقال لها الجواب الذى سمعه من شيخه، فقالت له السمكة: «ذاك البحر لا أنت» اهـ.

وهكذا إن شاء الله كلما وقفت فكرتى رددت سفينتى حتى يقال لى: ذاك من الشيخ لا منك.

إشارات خفية خطيرة

وهكذا فى الحال ما يغنى عن المقال، وفى الإشارة ما يغنى عن العبارة، وفى التسليم شراب التسنيم، وفى المحبة شراب المربة، وفى المشاهدة ما يغنى عن المجاهدة، وفى مشاهدة ابن إدريس ما يغنى عن التدريس، وفى ملاحظته تنزيل عبارته، وفى خياله فيوضات مقاله، وفى إكباره هاطلات أسراره، وفى لمعان أنواره وأحزابه فتح بابه، وفى أوراده نفع أولاده، وفى تكريم أولاده عين وداده، وفى حب ابنه السيد عثمان ما يقربك من خمر الدنان.

وقد سلمنا له حاله ومقاله فاستفتح سماء العلو، ففتح له ما عز على غيره، فكان منا مكان القلب من الجسد، فكشف له بحبه لشيخه ونال بانتسابه إليه الدرر الغوالى ابنه السيد عبد العالى.

وكم من مغترف، وكم من سامع، وكم سابح فى بحره المتلاطم الأمواج المالىء للفجاج، فعليك بالاتباع لهذا الشيخ عالى الهمم، راسخ القدم حتى تذوق من مودته وتنال من بركته ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد﴾ (٥٩) من كنوز غيوب أسرار أوراد شيخه وبخدمتك له ما يسخر لك العوالم.

وقد نال ابن السنوسى من إخلاصه لشيخه الوراثة الجامعة للصفات المحيطة بجميع التجليات، فقيل فيه كشيخه ذى الأفعال الأحمدية، وهكذا جذب ابن الأهدل* ، جذب الشيخ من مكة إلى اليمن فأكمل وهكذا جذب المجذوب* ، ونال به ظافر * فظفر، وأظهر الرشيد * العجائب والعبر.

وهكذا كان السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه، بحر علم

(٥٩) هـــود : ٧٣ . (*) هى اسماء تلاميذ لابن إدريس .

زاخر، وفيض قدس طاهر، مربيا ربانيا، وطبيبا روحانيا، ما غمدت أسيافه، ولا أنكرت القرى أضيافه، فإن أردت الدليل فعليك بأوراده؛ لتكون من جملة وراده.

فكم ورد عليه واردون، وانتفع بعلمه سامعون، وكم أحيا قلوبا فاستنارت، وإلى سماء العلو طارت، تلاميذه عارفون، وأتباعهم أحمديون.

له فى كل زمان رجال تظهر، وأسرار تبهر، وعلامات نجمية، ومدارك إدريسية، تربيته لا تنقطع عن أحبابه، ولهم موائد أنسه واقترابه، له دول وجولات، وجنود كالجبال الراسيات، وكم عليه نعم من الله تترا ﴿اعملوا آل داود شكرا﴾ (٦٠).

ومن الوبال على المريد اختلاطه بالمنكرين الذين كلامهم كالحجارة، وان قلب المريد كالزجاجة «والزجاجة كسرها لا يجبر» (٦١) فمن عرض قلبه لهم فقد عرض زجاجته للكسر.

واعلم يا أيها المريد هدانا الله وإياك لنوره التام، وأدخلنا وإياك فى حضرة القدس التى لا يكدر صفوها بوجه من الوجوه: أن الآية فى اللغة هى العلامة التى تدل على الشىء المراد، وهى إما قولية كآيات القرآن الحكيم، وإما فعلية بلا واسطة ترى كالسماء والأرض، وإما بواسطة

---

(٦٠) سبأ: ١٣.

(٦١) قال الشاعر:

أن القلوب إذا تنافر ودها
مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

كالمعجزات للرسل عليهم الصلاة والسلام، والكرامات للأولياء، لأن الآية من القرآن العظيم دليل على وجود الله تعالى، والسموات والأرض وما فيهن دليل كذلك.

والمعجزة من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم دليل على صدقه، والكرامة من الولى دليل على صدق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

إذا علمت كلامى هذا علمت معنى قوله تعالى: ﴿**وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم**﴾ (٦٢).

فجلوسك مع المنكرين وسماعك لقولهم حرام، إذ أنت مأمور بالإعراض عنهم، ففكر فى قولى هذا ولا تهمله فإنه نفيس إن شاء الله تعالى.

قال سيدى صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه عقب هذا الإلهام:

أعرض عن الجهال لا تسمع لهم
فكلامهم شؤم على من يسمعه

وإذا ذكرت لواحد أهل الهدى
وذكرت سيرته فقولك يفجعه

وإذا ذكرت سواه من أهل الدنا
تلقاه يسمع للكلام ويجمعه

---

(٦٢) الأنعام: ٦٨.

كـــالجعل يـــؤذيـــه الغـــوالى طيبهـــا
ويســـر بـــالـــروث الـــدنىء وينفعـــه
عـــرج على ابـن ادريس فى حلقـــاتـــه
تلقـــاه يقـــرأ للحـــديث ويـــرفعـــه
فعســـاك أن تـــرقى بـــه من نظـــرة
فهـــو الإمـــام لنـــا بحق نتبعـــه
تلميـــذه فـى الـــذكـــر يـــرتع والهـــدى
أكـــرم بـــه روض الحقـــائق مـــرتعـــه

قال سيدى أحمد بن إدريس صاحب العلم النفيس رضى الله تعالى عنه: الأب أبوان:

١ ـ **أبو الروح**.

٢ ـ **وأبو الجسد**، وأبو الـروح أفضل من أب الجسد، وأراد رضى الله تعالى عنه بأبى الروح شيخ الطريق.

وأما إن كان الشيخ من العترة الطاهرة النبوية فيجب حبه لذلك زيادة على حبه لكونه شيخا.

وإننى أعجب بهذيـن البيتين للشيخ الأكبر سيدى محيى الـدين بن عربى رضى الله تعالى عنه:

جعـلـت ولائـى آل طـه فـريضـة
على رغم أهل البعد يورثنى القربى
فما طلب المبعوث أجرا على الهدى
ببعثتـه إلا المـودة فـى القـربـى

قال سيدى صالح الجعفرى فى البردة الحسنية الحسينية :

لا تنكـــر الســـر فى آل الـــرســـول فهم

من نـــور جـدهمـــو جـاءوا بســـرهم

وذاك أنهمـــــو منـــــه ووالـــــدهـم

بـــــاب العلـــوم على فـــــارس الأمم

ومن الوبال على المريـد انتماؤه للمدعين ممن يدعـون الاجتهاد، وينكرون على الأئمة رضوان الله تعالى عليهم، وهم لا يعرفون القرآن ولا الحـديث ولا علم الأصـول فهم فتنـة بين المسلمين، وهم أضـر على المريد السالك من المعاصى.

ومن العجب أن حـالهم لا يعجب أحـدا إلا الجهـال وشـركهم لا يصطاد إلا الجهال كما قال الشاعر: **إن الطيور على أشكالها تقع**.

ومن عـلامـاتهم غبـرة على وجـوههـم، وأنهم من أهل الـوجهين، وبخلهم إلا على من يوافق قولهم، وكثرة كـلامهم بغير ذكر الله تعالى، وإظهار الحماقة عند الحـديث معهم، واحتقارهم لمن دونهم ولو كان أعلم وأشرف، وكثرة غفلتهم عن ذكر الله تعالى، وكثرة الرياء واعتناؤهم بكل مـا يراه النـاس، وبغضهم للصوفيـة، وإنكارهم عليهم، وإنكـار كـرامـات الأوليـاء، واتخـاذهم قـولهم مهنـة للعيش، وعجـزهم عنـد المنـاظرة مـع أى عالم، واحتقـار جميع المسلمين وتضليلهم وتسفيـه آرائهم.

فـالمـريد السـالك فى طـريق الله تعـالى يحـذر هـؤلاء، ويصحب

الأخيار كما قال ابن عاشر المالكى رضى الله تعالى عنه :

يصحب شيخا عارف المسالك يقيه فى طريقه المهالك

قال شيخ الشيوخ وسلطان الرسوخ سيدى الشيخ صالح الجعفرى :

يصحب شيخ العلم والكتاب ليهتدى به إلى الصواب
فليس بعد العلم من هدايه وعمل به هو الولايه
فاسمع مقاله وكن سريعا لعمل به وكن مطيعا
فالشيخ أنت ان أطعت الأمرا وكنت محبوبا لديه سرا
ومدد الشيخ بقدر الحب كذاك قربه بقدر القرب
وكلما ذكرته تلقاه لا سيما ان غبت فى رؤياه
تلك معانى الذوق يا أخانا فلا تكن مصاحبا سوانا
إدراكنا الإدراك إن أردته وربنا العظيم ما أدركته
إدراكنا سبيل لا إدراك فلا تمل لغيرنا إياك
إن الحمى لذاكر يا ابنى فلا تمل عن منهجى وفنى
طريقنا الكتاب ثم السنة وشيخنا لجده وكلنا
ومالك إمامنا فى المذهب وعقدنا كالأشعرى الطيب
ووردنا كالمزن يهمى عسلا فيه شفاء للذى قد أقبلا
فأسرعوا نحوى عباد الله فالغيث منهلٌ بلا تناهى
فما حجبنا عنكم التراب ولا تغيبنا كمن قد غابوا
بل نحن فى القلوب لا نزال وفى القلوب ينزل المقال
فإن رأيت قد رأيت ثمّا غيثا مربعا هاطلا وعمّا

ومن رآنا كالتراب صرنا فذاك محجوب وعنه سرنا
ومن رآه فى المقام العالى مداره المحبوب عبد العالى
فذاك قد درى ومن درانى يموت فى العقبى على الإيمان
واحرّ قلباه على القلوب قد أنكرت معالم الغيوب
وآمنت بكل ما تراه وأنكرت ما غاب فى مرآه
ونحن بعد الموت كالأملاك فهل نظرت دورة الأفلاك
واعجبا واعجبا للرائى وهل رأى الباطن للسماء
وهل رأى جبريل حين يظهر كدحية وللعقول يبهر
وهل درى العروج والمعراجا ومن أتوا فى ليلة أفواجا
من رسل وأنبياء سادوا فكيف جاءوا للدنا وعادوا
ثم رآهم فى السماء أخرى فاعجب وصدق إن أردت أجرا
والأولياء الصالحون نالوا كرامة الإرث كما قد قالوا
فورثوا المختار فى الأقوال ثم الكرامات من الفعال
كالمعجزات للولى توهب فى بعض أحيان وليس تطلب
فجل بنور الفكر فى المعانى عساك أن تصلح للأوانى
عساك أن ترقى من المنقول بنوره تهدى إلى المعقول
كى تدخلن الحضرة العليه وتشربن كأسها الهنيه
فتذكرن الروح للأوطان تهتز كالوردة فى الأغصان
تشكو النوى والبعد والفراقا وتتمنى كأسها الدهاقا
من أجل ذا تشتاق للصوت الحسن لأنه يذكّر الروح الوطن
ونغمة فى قوله «ألست» لأنها من خير ما سمعت

وكـان ذو النـون يقـول حقـا ... كـأننـى أسمعهـا فـأرقـى
ويحصل الـوجـد بهـا للـذاكـر ... لا سيمـا للسـادة الأكـابـر
وذاك كـالمفضـال ذى الأحـوال ... محمـد الشـريف عبـد العـالى
وغيـره من سـادة أخيـار ... ممن أقـامـوا حلق الأذكـار
ثم صـلاة الله بـالسـلام ... على النبى نـاصـر الإسـلام
والآل والصحـب أولى التحقيـق ... مـا الجعفـرى طـاف بـالعتيق
أو زار خيـر الخلق فى المقـام ... أهـدى إليـه أفضل السـلام
واجعل إلهى دائمـا أصحـابى ... فى منهـج السنـة والكتـاب
متعهم بـالقـرب والتجلى ... جنبهم الإعـراض والتـولى
وارزقهم النشـاط فى الأوراد ... وادخلهم يـا رب فـى العبـاد
وعـافهم يـا رب فى الحيـاة ... من كل مـا يـردى وفى الممـات
حققهم يـا رب بـالأحـزاب ... ليشـربـوا معطـر الشـراب
فى حضرة الساقـى بدار القدس ... خيـر شـراب مصلـح للنفس
واجعلهم يـا رب فى الكفـالـة ... كفـالـة الخـاتـم للرسـالـة
وامنحهم يـا ربنـا أسـرارا ... حتى أراهم فـى الـدنـا أنـوارا

ومن الوبال على المريد أن تحدثه نفسه برؤية الحق سبحانه يقظة، أو أن يرى نورا منه، أو يسمع له كلاما، أو يشم له رائحة.

كل ذلك من صفـات الحـوادث ومستحيل على الحق سبحـانـه وتعالى.

وإذا رأى نورا أو شم رائحـة طيبة، أو سمع صـوتا بكـلام طيب فإنه

يكون ممن قال الله تعالى له: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾ (٦٣).

فكما أنه ناب عن الله تعالى فى البيعة لاستحالتها عليه تعالى بالكيفية المعهودة، كذلك ينوب فيما يراه المريد السالك الذاكر من خوارق العادات، أو أن يكون ملكا من قبل الحق سبحانه وتعالى، أو أن العمل نفسه ينتقل إلى درجة الحس فتقوى الروح فترى نوره وتشم رائحته الطيبة، والله تعالى أعلم.

ومن الوبال على المريد الصادق تعلق حب الدنيا بقلبه، وذلك دليل على حياته الأولى النفسية العادية.

قال ابن الفارض رحمه الله تعالى: «ها أنت حيٌّ إن كنت صادقا مت» يعنى ميولك إلى الدنيا وإلى شهواتها واغترارك بنفسك، ورؤية عملك دليل على حياتك.

إن كنت صادقا فى حبك لله تعالى كن معه كالميت الذى ترك الدنيا وما فيها:

ومن الدلائل أن تراه مسلما

كل الأمور إلى المليك العادل

واعلم يا أخانا فى الله تعالى أن الموت الذى أشار إليه ابن الفارض رحمه الله تعالى هو الذى عبر عنه بالحياة فى قوله:

فالموت فيه حياتى

وفى حياتى قتلى

---

(٦٣) الفتح: ١٠.

والمراد بالموت قطع النفس عن شهواتها كما ينقطع الجسم بعد الموت عن عيش الدنيا ولذائذها.

ومعنى الحياة أن تتغلب الروح على الجسد، ويكون لها الحكم النورانى والتعليق الرحمانى.

جنود الهوى

فكانت العين تهوى النظر إلى ما تشتهى، والأذن تهوى سماع ما تشتهى، واللسان يهوى من الكلام ما تشتهى النفس، واليد تتحرك إلى ما تأمر به النفس، والرجل تمشى إلى ما تأمر به النفس، والبطن والفرج إلى ما تأمر به النفس، فهذه هى جنود الهوى للنفس الأمارة، فإن تغلبت النفس على الروح واستولت على تلك الجنود كان الإنسان حيا بالحياة الحيوانية الشهوانية، وان تغلبت الروح على الجسد كان لها الحكم على تلك الجنود، فالأول هو الميت يعنى بالشهوات، والثانى هو الحى يعنى بالحياة الروحية الملكية، قال ابن الفارض رحمه الله:

فأهل الهوى جندى وحكمى على الكل.

فاستمع إلى تلك الغرائب لعلك أن تشهد بعض العجائب، ففى الحزبين الأولين من أحزابنا ما يكشف لك عن سر كلامنا، فجل فيهما بروحك حتى تموت نفسك، وينقطع عن السوى أنسك، ثم تموت وتحيا بها، وتكسى ثياب القبول والبهاء.

فمن كلماتها ينهل عليك فرات عذبها المنهل، من مناهل غيوب ما وراء المثل، وقد جعلنا لك فيها ما أودعه ابن عربى فى مؤلفاته، وابن

الفارض فى منظوماته .

لا تثريب عليك أن لم تقرأ غير تلك الأحزاب . فقد جمعت لك ما حضر وما غاب .

هذه الكعبة ولكن أين الطائفون؟ وهذه عرفات العرفان فأين الواقفون؟ هذه يخرج منها شفاء للناس فأين الشاربون ؟

واعلم أن لكل شيخ طريق عقاقير فى أوراده تصلح لأولاده السالكين طريقه ، فيها فيتامينات التقوية والتغذية ، وفيها بلسم الشفاء ، وفيها ما يهدى النفس ويقوى الروح .

فمن أراد الوصول فلا وصول له إلا بأوراد شيخه فهى سبيله ، وباب وصوله وهى روحه وريحانه .

ويقول سيدى عبد السلام الأسمر رضى الله تعالى عنه :

يا تارك وردى ما تنده بى .

ويقول :

واللى عرف شيخه يحميه ، واللى خدم شيخه من خمرته يسقيه .

ويقول :

مريدى ينطق بريقى فى كل قصيدة .

ويتكلم عن شيخه رضى الله تعالى عنه :

سيدى وأبى وسلطانى من البعد جانى يرعانى

كالطير حايم آه آه

وعلى المريد العاقل إذا سمع كلاما لأى ولى وصف به شيخه أيضا ولا يرى شيخه أقل من غيره بل يغتفر له تقديمه على أقرانه من أهل زمانه.

قال ابن الفارض رحمه الله تعالى :

وفى حياتى قتلى .

فهما قتلان وحياتان، فالقتل الأول قتل الروح، وهو كناية عن تغلب النفس عليها. والقتل الثانى قتل النفس وهو كناية عن تغلب الروح عليها، وهكذا شهداء المعارك.

واعلم يا أخانا إذا أردت أن تدخل فى شهداء المعارك لتنال إحدى الحسنيين بإحدى القتلتين فى ميدان القتال، فاقتحم ميدان الرياضة والعزلة والانفصال، فتحيا بإحدى القتلتين حياة الشهداء، الذين هم أحياء بعد قتلهم وعند ربهم، ولهم اتصال بأحبابهم، ولهم فرح بهم وبقدومهم إليهم.

إما فى جنة عدنهم وإما فى مشاهدة ربهم، ولكل إدراك وتوجه، وانتباه واتصال وقرب، وجذب وحب، وامدادات وبركات، ونفحات وخيرات.

وتهيأ يا عبد الله بروحك، وأنصت بقلبك لما سيلقى عليك: ان حب الدنيا فى قلب المريد ﴿**كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت**﴾ (٦٤).

---

(٦٤) العنكبوت: ٤١ .

فحرك نسمات قربك الماحية لنعوتك [٦٥]. لتمحو معها بيوت عنكبوتك. فما حل حب إلهى فى بيت عنكبوت. لا، والذى نفسى بيده حتى يموت، فتخل عن سفاسف أمورك، وانظر بعين قلبك إلينا وما سطرته يدك من سطورك.

﴿فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب﴾ [٦٦]، ﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾ [٦٧]. وان حجابك عنا رؤيتك لنفسك، وغفلتك عن حظيرة قدسك، وان سفاسف أمورك اشتغالك بدار غرورك، أو ميول قلبك إليها لتغنى، إذ كلما مال إليها مال عنا.

فلا ميول فى طريقنا لمن تذوق المعانى، ودخل فى الميدان، وظهرت له المرائى، وصار هو المرئى والرائى، وعرف ما لم يعرفه الغير، وكان على جادة الطريق فى السير.

عليكم بالأحزاب بعد تلاوة القرآن العظيم

فعليك بالأحزاب بعد تلاوة القرآن العظيم، تتنزل عليك معانى أسرار السبع المثانى والحواميم.

ثم عليك بالأحزاب التى ما سطرها ولى فى أوراده، ولا قدمها متقدم لأولاده، فهى خطيبك الذى يهتز منبر قلبك لعظاته، وشيخك الحاضر الذى تصغى بروحك لجواهر كلماته، وغناك من فقرك، وعلمك بعد جهلك، وجندك الناصر، وبأسك القاهر، وسلطانك المجند، وقصرك

---

(٦٥) لنعوتك: أوصاف نفسك.

(٦٦) الحشر: ٦.

(٦٧) سورة ص: ٣٩.

المشيد، فإذا أهملتها فقد أضعت عزك، وأوقفت سيرك، وعطلت النجب[٦٨] واليعملات [٦٩]، وحق لك أن تبكى عليك الباكيات.

وهكذا حال من ترك الأوراد، واقتحم العقبة بغير زاد. وأدخل سيفه فى قرابه، والعدو على بابه، ونسى الحرب والمعركة، ولم يذكر قوله تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ [٧٠].

قال صاحب العلم الثرى سيدى صالح الجعفرى:

الورد للإنسان كالبنيان ... يشده الاكثار بالامعان
وصلة بالشيخ والمريد ... تكراره يزيد فى التأييد
ومنه ما يراد من امداد ... بتركه يكون فى كساد
والنفس عن أورادها نفوره ... ما لم تكن بنوره مغموره
فاحذر أخى النفس والشيطانا ... ولا ترى مقصرا كسلانا

واعلم يا أيها الإنسان إن أثمرت أشجارك بالورد. فبما أعطيناك من ورد، وما شم منك من طيبها لا منك، ومنا وإلينا لا عنك، فلدينا بحار تعلو أمواجها، ويعجزك عبور فجاجها.

ايها المريد أعنى على نفسك

فأعنى على نفسك بنفائس الأحزاب التى تطيب بها أنفاسك، وتكثر حراسك، وتزاد أنوارك، وتطيب ثمارك، ففكر فيمن وكلت إليه، وكان معول سلوكك عليه، نظراته تحييك، وامداداته تبقيك، فحيّهلن به إذا وافاك، وباقباله عليك رباك.

---

(٦٨) الجمال. (٦٩) اليعملات: النوق جمع ناقة.
(٧٠) البقرة: ١٩٥.

وباقباله عليك ربك.

نعم قد أحالنا شيخنا إليه، وأوقفنا بين يديه صلى الله عليه وآله وسلم، إذ منه انشقت الأسرار، وانفلقت الأنوار، وفيه ارتقت الحقائق، وتحقق به أهل الطرائق.

قال ابن الفارض رحمه الله تعالى:

فأدر لحاظك فى محاسن وجهه تلقى جميع الحسن فيه مصورا

ليست لحاظ الرأس ولكن لحاظ القلب، لمن جلسوا على كراسى القرب.

فنظروا بالجميع، إلى هذا الشفيع، صلى الله عليه وآله وسلم.

نظروا بالجميع وما حققوا النظر، فكيف لو نظروا إليه بالبصر؟

قال البوصيرى رحمه الله تعالى:

وكيف يدرك فى الدنيا حقيقته قوم نيام تسلوا عنه بالحلم

فايش تقول فى طريقنا هذا الذى مربيك فيه سراج العوالم صلى الله عليه وآله وسلم.

وإنها لنعمة كبرى ومنقبة عظمى تتضاءل أمامها الجبال الراسيات، وتغتبط درر معانيها البحار الزاخرات، وذلك مما اختص به طريقنا رب الأرض والسماء ﴿**يختص برحمته من يشاء**﴾ (٧١).

ومن الوبال على المريد نسيانه شيخه وتعلق قلبه بغيره وقراءته لأوراد غير شيخه مع ترك أوراد شيخه، فيقال له كما قال سيدى عبد

---

(٧١) آل عمران: ٧٤.

لبرعى رحمه الله تعالى :

آثرت غيرى على لكنَّ كما يدين الفتى يدان

أو أن يأخذ عهدا غير عهده بأن يدخل طريقا غير طريق شيخه، أما إذا تحقق وكشفت له الحجب ورفعت له الرتب حتى صار يقول: أمرنا بكذا، فلا حجر عليه إذ ذاك.

فيكون مثله كالمقلد إذا بلغ رتبة الاجتهاد.

فتارة يكون مجتهدا فى مذهبه الذى درسه، وتارة يكون مجتهدا مطلقا.

قوله رضى الله تعالى عنه :

> وهذه القاعدة هى أساس الأعمال والأقوال كلها، فمن تحقق بها ورسخ فيها كانت أحواله كلها مبنية على السداد ظاهرا وباطنا لا يدخلها خلل بوجه من الوجوه.

قال سيدى صالح الجعفرى رضى الله تعالى عن أجداده :

لأنها كالميزان الذى يبين المبهم، فهذه القاعدة تبين للإنسان نتيجة العمل قبل الدخول فيه وتسمى النتائج التصورية وهى لا توجد إلا عند من تحقق بهذه القاعدة.

لأنها تأمرك قبل العمل بفكرة، تدخلك ميادين حضرة، فيها نتائج الأعمال قبل الدخول فيها.

ثم هنا الإنسان إما أن يعلم فيرجع عن قبيح فعله لما علم، وأما أن يعلم ولا يرجع، وأما أنه لا يعلم فلا يرجع، فالأول عاقل، والثانى شبه مجنون، والثالث مجنون.

فالذى علم سوء العاقبة ففر من سوء العمل **﴿فهو على نور من ربه﴾** (٧٢) والذى علم ولم يرجع فهو كما فى قوله تعالى: **﴿وأضله الله على علم﴾** (٧٣). ومن لم يعلم فهو ضال خاض مع الخائضين بلا علم **﴿وكنا نخوض مع الخائضين﴾** (٧٤). أى بلا علم ولا عقيدة فهو منزل منزلة المجنون.

فمن جعل هذه القاعدة أساسا لعمله فقد فاز، وأسس بنيانه على أساس متين **﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم﴾** (٧٥).

ومن تحقق فى هذه القاعدة كانت أحواله كلها على الكتاب والسنة ظاهرا بمراعاة الظاهر وباطنا بمراعاة الباطن.

والظاهر: الأعمال والأقوال.

والباطن: القلب، وفى الحديث: «... ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

وكلام السيد رضى الله تعالى عنه يدخل تحت قوله تعالى: **«إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان»** أى وسواس **«تذكروا»** أن الله ناظر إليهم **﴿فإذا هم مبصرون﴾** (٧٦) سبيل النجاة اهـ. جلالين.

قال سيدى صالح الجعفرى: **«تذكروا»** أى ذكروا الله مع وجود غفلة فنقلهم من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود حضرة، فاطمأنت

(٧٢) الزمر: ٢٢. (٧٣) الجاثية: ٢٣.
(٧٤) المدثر: ٤٥. (٧٥) التوبة: ١٠٩.
(٧٦) الأعراف: ٢٠١.

وجود حضرة، فاطمأنت قلوبهم بعد اضطرابها ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (٧٧).

فلما اطمأنوا شاهدوا، فلما شاهدوا جاهدوا ﴿وجاهدوا فى الله حق جهاده﴾ (٧٨)، فلما جاهدوا اهتدوا ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ (٧٩)، فلما اهتدوا وعدهم الحسنى وزيادة ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ (٨٠).

فلما زادهم جعلوا حبه زادهم، واشتاقوا إلى وجهه الكريم ودعوه بالغداة والعشى ﴿يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه﴾ (٨١).

فإذا النداء الأقدس من الكمال الإلهى المقدس: أين المشتاقون إلى؟ فجفت جنوبهم المضاجع ونورهم لمع ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا﴾ (٨٢)، فسهروا الليالى، وأضاءوا كاللآلى، وشمروا قانتين ساجدين وقائمين ﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما﴾ (٨٣).

فلما انسلخوا عن بشريتهم وتغلبت عليهم روحانيتهم، فهؤلاء لا بد أن تكون أحوالهم كلها مبنية على السداد؛ لأنها أحوال روحانية مجردة عن دسائس النفس ظاهرا وباطنا، كصفة الروح فإنها نورانية ظاهرا وباطنا، كذلك ما صدر منها يكون كذلك.

(٧٧) الرعد: ٢٨. (٧٨) الحج: ٧٨. (٧٩) العنكبوت: ٦٩.
(٨٠) يونس: ٢٦. (٨١) الكهف: ٢٨.
(٨٢) السجدة: ١٦. (٨٣) الزمر: ٩.

وقد نشأ الله المرسلين والأنبياء عليهم الصلاة والسلام على هذا الحال فلم يصدر منهم خلل ما بوجه من الوجوه.

وهذه الصفة فى الرسل عليهم الصلاة والسلام حقيقية وفى الأتباع وراثية.

وكذلك كل ما صدر من خوارق وعلوم ومعارف فإنها بطريق الاتباع والوراثة.

وكان من أجلهم وأوسعهم دائرة فى هذا المقام نبينا صلى الله عليه وآله وسلم. فإن الرسول كان يرسل لقومه خاصة وقد أرسله صلى الله عليه وآله وسلم ربنا إلى الناس كافة، فجميع الورثة من جميع الأمم إلى يوم القيامة هم وراثه وتابعوه صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد أجاد شيخنا الشفا القطب النفيس مولانا السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه حينما وكلنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتولى تربيتنا، وقد شاهد كثير من إخواننا ذلك إلى يومنا هذا.

فاختص الله الآخذين لطريقه المحمدى بالتربية المحمدية.

وكأن السيد لاحظ حين تلقيه الذكر الخاص به وأنه فيه الجمع بين الحضرتين وهو: لا إله إلا الله محمد رسول الله. وكذلك فى قوله: واجمع بينى وبينه إلخ، ما يزيد على التربية لأن الجمع والملازمة يزيدان على التربية.

فامتاز هذا الطريق فى أوراده بهذه الميزات المميزات له، وأن صاحبه كانت له القدم الراسخة فى المتابعة المحمدية الظاهرة فى

جميع أحواله، فكانت الرابطة بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رابطة قوية متينة. وقالوا: إن كل مريد يرث من مقام شيخه وحاله على قدر اجتهاده واستعداده ووثوق الشيخ به.

نقل ابن الأثير عن سيدنا على رضى الله تعالى عنه وكرم الله وجهه أنه قال: «ان فى هذا الصدر لعلما لم أجد له لقنا لكن أصبت لقنا غير ثقة» ومعنى اللقن: الفهم.

قال مولانا العارف بالله تعالى الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عن أجداده:

فالشيخ ينظر إلى ذكاء المريد وأمانته على الأسرار: وعدم اغتراره بها بعد ظهورها عليه، ومراعاة الأدب مع الشيخ وحفظ مقامه ودرجته عنده وإلا كان ليس بذاك. نعوذ بالله من ذلك.

كل ما يصدر من الشيخ غيث للمريد

واعلم يا أخانا هداك الله وهدانا: أن مثل المشايخ كالسحب تحمل رحمة الله المساقة لسقى القلوب المحمدية لتحيا بها الحياة الطيبة، وأن رياح حبك وإخلاصك إليهم تسوق سحب غيثهم إليك.

فرضاهم غيث، ودعاؤهم غيث، ونظراتهم غيث، وأورادهم غيث، وطعامهم غيث، وشرابهم غيث، واطعامهم غيث، وخدمتهم غيث، وتوجههم غيث، وكلامهم غيث، وثناؤهم عليك غيث، وذمهم لك غيث، وتأديبهم لك غيث، وكل شىء حاصل منهم غيث.

فهىء نفسك لغيوث شيخك عسى أن تحيى أرض قلبك فتخرج من موت روحك إلى حياتها، ومن غفلتها إلى التفاتها، ومن سجنها إلى إخراجها، ومن قيدها إلى حلها، ومن حرامها إلى حلالها، ومن حلها

إلى حرمها، ومن حرمها إلى معرفة حرمتها، ومن حرمتها إلى عرفات معرفتها، ومن معرفتها إلى فرط حبها، ومن فرط حبها إلى حيرتها.

كما قال سيدى ابن الفارض رضى الله تعالى عنه:

زدنى بفرط الحب فيك تحيرا وارحم حشا بلظى هواك تسعرا

وبذلك تصل إلى ما وراء ذلك، وتغيب عن ملك نفسك وجميع الممالك.

وتفكر فى قوله تعالى: ﴿**كل شىء هالك إلا وجهه**﴾ (٨٤).

فتبحث بعد حياتك عن الحى، وبعد فنائك عن الباقى، فتدرك ببحثك كل شىء إلا الذى ﴿**ليس كمثله شىء**﴾ (٨٥).

فعند ذلك تكون حيرتك عبرة، وجهلك حكمة، وعجزك قدرة، وعدم إدراكك إدراكا.

ثم تفكر فى العرش العظيم وفى مكانه وزمانه فيرجع عقلك إليك عاجزا كليلا، فكيف أنت أمام خالقه ومبدعه؟ قد أعجزتك روحك علما وهى بين جنبيك.

وهكذا عجزك عنها بين يديك دواليك.

فهل عرفت روحك يا ابن التراب والسماء؟ أم وقفت عند جسمك الذى هو من الطين والماء؟ وهل نظرت بعينك مقر رزقك وكيف ينزل عليك؟

فإذا عجزت عن شئونك فكيف تدرك من بيده الشئون، وأمره بين الكاف والنون؟! فلا تحم حول الحمى فيقتلك الظما.

---

(٨٤) القصص: ٨٨. (٨٥) الشورى: ١١.

وفكر فى قوله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ (٨٦)، فسبحان الظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم.

قال كنز العطايا الإلهية مولانا الشيخ صالح الجعفرى:

تـذكـرت روحى كيـف روحى فلم أجـد
لـروحـى سبيـلا والسبيل هـو الـوقف
فكيف لعقلى أن يفكـر فى الـذى
لـه العقل مخلوق كـذا الـروح والكيف
لـه الملك والأمـلاك والعـز وحـده
لـه الخيـر والإكـرام والعطـف واللطف
على العـرش رب العـرش لكن كقـولـه
وليس لنـا مـن بعـد مـا قـالـه وصف

قال السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه:

وهذا معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزن عليكم».

قال سيدى العارف بالله تعالى الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه: جعل السيد رضى الله تعالى عنه القاعدة الأولى كلها شرحا لهذا الحديث، وإنه لشرح عظيم مطابق لمعنى الحديث.

فإذا رجعت إلى القاعدة من أولها علمت ذلك، والله الموفق إلى سواء السبيل، وهو حسبى ونعم الوكيل.

(٨٦) الأنفال: ١٧.

قوله: «حاسبوا أنفسكم . . . إلخ».

قال مفخرة السلف وقدوة الخلف سيدى صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه: المحاسبة أنواع فيحاسب نفسه على الاختلاس، وعلى الحرف فى القرطاس، وعلى البرق إذا لمع، وحمام الأيك إذا سجع.

وهل ذكـرهـا البـرق بـريـق الحمى
وسجـع الحمـام لـدمع همى

وقول المهيمن: «إذ هُما» (٨٧) فالشىء بالشىء يذكر، والذنب بالتوبة يغفر.

ويحاسب النفس على نفاستها وتكريمها ﴿ولقد كرمنا بنى آدم﴾(٨٨)، وعلى تعليمها بعد جهلها ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (٨٩) وعلى خطاها على الأرض وأين سارت ﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾ (٩٠) وعلى غفلة حجبتها، ونظرة سمتها، وفى الحديث النبوى: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس».

وعلى كلمة قالتها: لو مزجت بالبحار لمزجتها، ألا وهى الغيبة التى أجمع العلماء على أنها من الكبائر، ولا تجوز غيبة المسلم مطلقا على أى حال من الأحوال، وهذا هو ظاهر الكتاب والسنة.

ويحاسب نفسه على تركها من العلم ما وجب، وعلى المال ما اكتسب، ومن أين طريقه، ومن أين جاء وإلى أين ذهب؟

وعلى الموت إذا نزل بإنسان، وهل ذكره ذلك موته وفراقه الأهل والإخوان؟ وعلى ما أنبتت الأرض من الزرع والزهور، وهل ذكره ذلك

(٨٧) فى قوله تعالى: ﴿إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾ [التوبة: ٤٠].

(٨٨) الإسراء: ٧٠. (٨٩) العلق: ٥. (٩٠) يس: ١٢.

البعث والنشور؟

وعلى النار إذا أججت، وهل ذكرته الجحيم التى سعرت؟ وعلى رؤيته للحدائق والثمار، وهل ذكره ذلك دار القرار ؟ وعلى نظره إلى المبدعات والجبال الراسيات والبحار الطامحات، والرتع السارحات، والأطفال والأمهات، والسفن الجاريات.

وهل تذكرت نفسه عند ذلك قوله تعالى: ﴿ومن آياته الجوار فى البحر كالأعلام﴾ (٩١)؟ أم ظن أنه على غفلته عن ذلك لا يلام؟ إذا كان كذلك، فما الفرق بينه وبين الأنعام؟.

خلقك الله أيها الإنسان لتحاسب نفسك، وتارة تهوى مع الهاوين ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾ (٩٢)، ﴿ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى﴾ (٩٣).

طريقنا كله حساب ومحاسبة

فعجل بحسابك، قبل أن يعجل بذهابك، فليس بعد الذهاب من الدنيا من رجعة، وليس بعد ترك المحاسبة من فجعة.

واعلم يا أخانا أن طريقنا هذا كله حساب ومحاسبة، واقتراب ومراقبة، لا سيما لمن واظب على الأحزاب، ورتلها بالأسحار، مع المشاهدة والتذكار، وغلب عند تلاوتها روحه على جسده، ويومه على أمسه، وغائبه على حسه حتى تتلاشى أمامه الزائلات، وترسخ فى قلبه الباقيات الصالحات، حتى يكون قلبه ينبوع حكمة روحه المفاض عليها من فيض فيضان قدس معالم غيبها النازلة من رحيق مختوم ختم كلمات ربها.

(٩١) الشورى: ٣٢. (٩٢) التين: ٥. (٩٣) طه: ٨١.

فعليك يا عبد الله بالإكثار من قيامك وصومك، وتذكرك فى قول ربك: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾ (٩٤).

وعرج على الصلوات الأربع عشرة اللواتى بحرهن زاخر، لعلك أن تحوز لتلك المفاخر، وادخل بكليتك الروحية، فى معانى كلماتها النورانية، عساك أن تتصل بالنور اللامع فتستنير، والسر الهامع فيسير بك إليه فى حضرة القدوس البديع.

فكم قد شرب من رحيقها شارب، وكم قد اهتدى بهديها فى المشارق والمغارب.

وحسبك قول من أهديت إليه فيها، فإنه أدرى بمعانيها، وهو سيدى الشريف السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه حيث يقول فى فضلها:

«إن هذه الصلوات قد استوت على عرش الأنوار، وأرجلهن متدليات على كرسى الأسرار، تصلين فى كتاب الكمالات المحمدية بقرآن الحقائق الأحمدية، قد طلعت فى سماوات العلى شمسها، وارتفع عن وجه الكمال المحمدى نقابها، وبحرهن فى الحقائق الإلهية زاخر، ولهن فى القسمة من المعارف المحمدية حظ وافر، خذهن إليك يا من أراد أن يسبح فى كوثر النور المحمدى، وجل فى عجائب معانيها يا من يبتغى الاغتراف من البحر الأحمدى، تتلو عليك من كتاب الحقائق المحمدية محكم الآيات، وتفسر لك بعض نقش حروف آياته البينات ـ والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم».

(٩٤) الزخرف: ٤٤.

قال سيدى صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه: قد جعل السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه الصلوات الأربع عشرة مفتاحا لمن أراد أن يسبح فى كوثر النور المحمدى.

فيوضات جعفرية

اعلم يا أخانا واسمع مقالنا هذا بمسامع قلبك عساك أن تشرب من صافى وردك، أن الله تعالى جعل فى الدنيا شمسا للنهار وقمرا لليل، فأهل النهار يسبحون فى ضوء شمس نهارهم، وأهل الليل يسبحون فى ضوء قمر ليلهم، ويشترط فى إدراك نوريهما سلامة ما به الإدراك.

وجعل الله تعالى النبى صلى الله عليه وآله وسلم شمس نهار القلوب وقمر ليلها، فمن شاهده بقلبه السليم الإدراك سبح فى كوثر نور شمسه وقمره صلى الله عليه وآله وسلم، كما أن من سبح فى ضوء شمس نهاره ونور قمر ليله تأتى أعماله كاملة كما ينبغى، لوجود النور الذى يميز به، كذلك الذى يسبح بقلبه فى كوثر النور المحمدى تأتى أعماله الدينية والدنيوية كاملة بالكمال المحمدى، وهذا الكوثر النورانى هو المسمى بالسر السارى فى سائر الأسماء والصفات، أعنى أسماءك فى درجاتك وخطوات روحك، فتارة تسمى راضية، وتارة تسمى مرضية... إلخ.

وصفاتك من قبض وبسط إلى غير ذلك، فكل صفاتك وأسمائك تكون كاملة بسبحك فى كوثر النور المحمدى الذى به تكون نورا فترى كاملا مكملا، ويناسبك فى هذا المقام الإكثار من الصلاة الكاملة لسيدى أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه وهى:

«يا كامل الذات. يا جميل الصفات. يا منتهى الغايات. يا نور الحق. يا سراج العوالم. يا سيدى يا محمد. يا سيدى يا أحمد. يا سيدى يا أبا القاسم. جل كمالك أن يعبر عنه لسان. وعز جمالك أن يكون مدركا لإنسان. وتعاظم جلالك أن يخطر فى جنان. صلى الله سبحانه وتعالى عليك وسلم يا رسول الله. يا مجلى الكمالات الإلهية الأعظم».

سائلا بقلبك الاغتراف من البحر الأحمدى، وإن أتمه وأكمله ما كان بعد رؤيته صلى الله عليه وآله وسلم يقظة، وقد يكون بواسطة حال روحانى مع مشاهدة باطنية، وتارة يكون من حيث يعلم المفاض عليه، وتارة من حيث لا يعلم، ولسعة مدد الفيض لا يدخل تحت حصر هذا الاغتراف المشار إليه.

وقد أخبر صاحب هذه الصلوات رضى الله تعالى عنه بأن من واظب على تلاوتهن ينال هذا الاغتراف، فلا تكن مستريبا فيما لا ريب فيه، عساك أن تغترف ما قدره الله تعالى لك مع الذين اغترفوا وكانوا هادين مهتدين، ولها أربع عشرة صورة نورانية، تزف بجنود حبك وإخلاصك إلى خير البرية صلى الله عليه وآله وسلم.

خروج الأعمال المعنوية
فى صور حسية عند ترقى الروح

فإن الأعمال المعنوية قد تكون فى صور حسية، فلا تغفل عن إشارتنا هذه لك فإنها نعمت الإشارة، ولا عن عبارتنا فإنها نعمت العبارة، ولا تكن ممن شغلته دروسه عن أنسه، ويومه عن أمسه.

وما أشرت به إليك من أن الأعمال المعنوية تكون حسية ذكره سيدى محيى الدين بن عربى رضى الله تعالى عنه فى قوله :

بل يفعل ذلك بمجرد قيام هذه الصفة به ، وحكم هذا الاسم الإلهى عليه ، فإذا تحرك فى العبادات التى لا حظ للخلق فيها كالصلاة والصيام والحج وأمثال ذلك بل كل عبادة مشروعة وهو مستمد من هذه الحضرة فينوى فى عبادته تلك ما كان منها لا حظ للمخلوق فيها أن ينشئها ويظهر عينها بحركاته أو مسكه عنها إذا كانت العبادة من التروك لا من الأفعال فينشئها صورة حسنة على التمام والكمال ، لتقوم صورة لها روح بما فيها من الحضور مع الله بالنية الصالحة المشروعة فى تلك العبادة ، يفعلها فرضا كانت أو نفلا من حيث ما هى مشروعة له على الحد المشروع لا يتجاوزه لتسبح الله تلك الصورة التى أنشأها المسماة عبادة ، وتذكر الله بحسب ما يقتضيه أمره فيها تعالى ، ويزيد هذا العبد الإنعام على تلك الصورة العملية المشروعة بالظهور لتتصف بالوجود فتكون من المسبحين بحمد الله تعالى ، إنعاما عليها وعلى حضرة التسبيح فيخلق فى عبادته ألسنة مسبحة لله بحمده لم يكن لها عين فى الوجود .

جاءت امرأة إلى مجلس شيخنا عبد الرازق فقالت له : يا سيدى رأيت البارحة فى النوم رجلا من أصحابك قد صلى صلاة فأنشأت تلك الصلاة صورة فصعدت وأنا أنظر إليها حتى انتهت إلى العرش فكانت من الحافين به ، فقال الشيخ : صلاة بروح ؟! متعجبا من ذلك ، ثم قال : ما تكون هذه الصلاة لأحد من أصحابى إلا لعبد الرازق ، يقول

ذلك فى نفسه ، فقال لها : وهل عرفت ذلك الشخص من أصحابى؟ قالت : نعم ، وأشارت إلى عبد الرازق الذى خطر للشيخ فيه ، فقال لها الشيخ : صدقت ، وأخذها مبشرة من الله .

«أخبرنى بهذه الحكاية عبد الله بن الأستاذ المروروري بمروروز من بلاد الأندلس وكان ثقة صدوقا» .

انتهى من الجزء الرابع ص ٢١٧ من الفتوحات المكية وهناك تمام البحث فارجع إليه إن شئت .

قال سيدى الغوث الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه : واعلم يا عبد الله ما سيلقى عليك كشرح لطيف لكلام الشيخ الأكبر سيدى محيى الدين رضى الله تعالى عنه يقول : إن العمل الصالح إذا عمله المؤمن يجعله الله تعالى مخلوقا حيا يسبح الله تعالى كالملائكة الكرام .

اعلم أيها الأخ أن الإنسان فيه روح من أمر الله تعالى لا يتصل بها شىء من العمل إلا أحياه الله تعالى كما أحيا الجسم المتصل بذلك الروح ، وتمام حياة الجسم تكون بتمام الجسم وسلامته ، والعمل يكون متصلا بالروح بواسطة الإخلاص ، فإذا أخلص العامل فى عمله صار العمل حيا بواسطة الإخلاص الذى وصل به لروحه ، وإلا كان العمل كالجماد ، ولذلك أعمال الكفار وأعمال الأنعام سواء ، كما قال تعالى : ﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل﴾ (٩٥) .

(٩٥) الفرقان : ٤٤ .

لأن الأنعام ليسوا مكلفين، فلا لوم عليهم فى موت أعمالهم، ولأن حياة الكفار روحية، وحياة الأنعام حيوانية غير عاقلة.

وانصت بقلبك لتلك الفائدة التى تجعل عملك حيا يسبح الله تعالى، ولا تهملها فإنها غالية عالية.

فائدة أخرى

قال سيدى محيى الدين بن عربى رضى الله تعالى عنه فى النصف الثانى من الجزء الرابع فى الفتوحات ص ٣٤٤ :

«كما أعطت النوافل أن يكون الحق سمعك وبصرك، فحقق فيما أبديته لك نظرك فإنك إذا علمت حكمت ونسبت ونصبت وكنت أنت أنت، وصاحب هذا العلم لا يقول إننى أنا الله وحاشاه من هذا حاشاه، بل يقول: أنا العبد على كل حال، والله الممتن على بالإيجاد وهو المتعال».

قال مولانا سيدى صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه: يقول لك الشيخ الأكبر سيدى محيى الدين رضى الله تعالى عنه: لا تتهاون بالنوافل. فإن سوقها عند الله حافل. ولها عنده شأن أى شأن. حيث جعلت الحق سبحانه لك سمعا وبصرا يا إنسان. فعليك بحافل سوقها بالليل إذا عسعس. وبالصبح إذا تنفس. وفى الضحى والأسحار. وفى البرارى والقفار. حتى يتحقق فيك معنى الحديث القدسى: «ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته

كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به..» إلخ (٩٦).

ولما كان ظاهر هذا الحديث يستحيل عليه تعالى أولته وقلت فيه بفضل ربى تعالى:

«كنت سمعه... إلخ» أى كان حبى فى سمعه وبصره وجميع جوارحه، لأن الحب القلبى إذا زاد سرى إلى جميع الجوارح، وزيادته تكون بسبب حب الله تعالى لعبده الذى يجعل الحب الإلهى ساريا فى جميع أجزائه.

فالمدار على حب الله تعالى لك لا على حبك له، وبحبك له عبدته، وبعبادتك له أحبك، فلا تنس الحب وأسبابه، واجعل نوافلك مدامك، حتى تبصر مرامك.

قال ابن الفارض رضى الله تعالى عنه:

*** ونفلى مدامى والحبيب منادمى ***

وهكذا توارد الأحوال، عند تزاحم مقامات الرجال، فلا تهملن جوادك عند السباق، ولا يعوقك عن نهوضك عائق سباق.

وأن تحاسب نفسك على قلقها وعدم صبرها على المكث فى المساجد التى هى بيوت الله تعالى، وأعلمها أنها إذ ذاك تنال ثواب

---

(٩٦) تمامه كما فى صحيح البخارى: «ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وان سألنى لأعطينه، ولئن استعاذنى لأعيذنه، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس عبدى المؤمن، يكره الموت، وأنا أكره مساءته» أخرجه البخارى فى باب التواضع.

المـرابط فى سبيل الله تعـالى، وهو الـذى يكـون حـارسا بين الكفـار والمسلمين.

قال عليـه الصلاة والسلام: «وانتظـار الصلاة بعد الصـلاة، فذلكم الرباط».

وأن تحـاسب نفسك على عـدم الـرضـا بقليل عيشك. وأنـه يجب عليك الرضا بما قسم الله تعـالى لك. قال تعالى: ﴿**نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا**﴾ (٩٧).

واعلم أن الله تعـالـى قسم المعيشـة التى عليهـا القـوام بين الإنس والجن والطيـر والوحش والحشـرات والهوام والبهائم والأنعـام والخيل والبغال والحمير والأرض والأشجار والأب والزرع.

وقسم أيضـا الأنـوار العلـوية التـى عليها قـوام المـلائكـة والأرواح والكواكب والأعمال الصالحة، وقسم أيضا الأغيار والظلمات.

فمن وافق قسم عيشه قسم نوره كان عيشـه نورا، ولحمه نورا وعظمه نورا ودمه نورا، وبصره وسمعه نورا، وعقله نـورا وكلامه نورا، وبدنه نورا ورجله نورا وشعره نورا، وعروقه نورا وجلده نورا، وخاطره نورا، وحاضره نورا، وغائبه نورا، وجميع حركاته وسكناته وخطراته وأنفاسه نورا، وموته نورا وقبـره نورا وبعثه نورا، وعلى الصـراط يرى نورا، وفى المحشـر يرى نورا. قـال تعالى: ﴿**يـوم ترى المـؤمنين والمـؤمنات يسعى نـورهم بين أيديهم وبأيمانهم**﴾ (٩٨).

(٩٧) الزخرف: ٣٢.

(٩٨) الحديد: ١٢.

«حكاية صحيحة» روى لى أن السيد عبد العالى رضى الله تعالى عنه عمل ببلدة الزينية بصعيد مصر «حـولا» وهو المسمى شرعا صدقة على الميت ويسمى فى مصر «بالمولد» لوالده سيدنا ومولانا السيد أحمد بن إدريس الشريف رضى الله تعالى عنه.

فكان السيد عبـد العالى يقطع الخبز بيده ويقـول: «إنى لأرى لهذا الخبز نورا».

وهذا الكـلام من قبيل مـا قدمته لـك فى كلامى هـذا، وما أخبـر به السيد فهو كشف حقيقى، لأن سيدى عبـد العالى رضى الله عنه يكفيه فضلا أن والده هو العلامة الشريف مولانا السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه، وأن مربيه وأستاذه ومرشده هو شيخ العلماء العاملين فى عصره، والـذى لم يخالف شيخـه قيد شعـرة سيدنـا ومولانـا الشريف السيد محمد بن على السنوسى رضى الله تعالى عنه.

وقد يكون النور حسيـا متفاوتا فى مرآه لاختلاف القـابليات المدركة له، كذلك النور المعنوى يختلف باختلاف المدركين.

وقد رأى سيدى عبد العالى الخبز نورا، وغيره يراه خبزا، وكلاهما قد طابق الواقع إبصاره، فمن أبصر بعيـن قلبه أبصر نورا، ومن أبصر بعين رأسه أبصر خبزا.

ولمناسبة ذكر «الحول» الذى يعملـه سيدى عبد العالى لوالده رضى الله تعالى عنهمـا قد ظفـرت بخطاب فى اليـوم الثالث من كتـابتى لهذا الموضوع.

وهذا الخطاب لسيدى عالم زمانه، وإمام أوانه، صاحب العلوم والكرامات، والنفحات والبركات سيدى إبراهيم الرشيد الدويحى رضى الله تعالى عنه أرسله لتلميذ له يسمى إسماعيل. فلا أدرى هل هو السيد إسماعيل النواب المشهور؟ أم هو إسماعيل غيره ؟؛ لأن الخط الذى وجدته هو هكذا «إسماعيل البلياب».

وهذا هو الخطـــاب :

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل وسلم وبارك على مولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله.

فمن عبد ربه إبراهيم الرشيد، لطف به الحميد المجيد.

إلى الأخ المحترم المكرم، والأعز الأمجد الأحشم، الشيخ إسماعيل البلياب حفظه الله آمين.

أما بعـــد .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، نعرفكم بأن كتابكم الكريم قد وصل، وفهمنا ما فيه وما عليه اشتمل.

أما من جهة أذكار الطريقة، أعنى طريقة سيدى أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه، التهليل والعظيمية والاستغفار الكبير.

وقال بعض الناس لسيدى أحمد رضى الله عنه: دلنى على من أسبق إلى الله تعالى، فقال: عليك بالتهليل، وسأله آخر فقال: عليك بالعظيمية، وما يفضل عليها شىء فى الأسبقية إلى الوصول إلى الله

سبحانه وتعالى. والاستغفار وقت السحر. والتهليل مقدم على غيره.

والأنس يكون بحسب حاله ووقته، فكل ما يفتح به الباب ويحصل منه زيادة الأحوال فى هذه الأذكار يكثر منه.

ومن جهة الأحزاب وحزب السيف فلكم الإذن فى قراءتهم.. ولكن الأحسن أن يكثر أولا من التهليل والعظيمية، لأن الأحزاب لا تدرك معانيها إلا بعد الفتوح.

ومن جهة الحصون فالحصون التى فى الأحزاب يتحصن بها صباحا ومساء.

ومن جهة التسابيح الواردة فى السنة فكان سيدى أحمد رضى الله تعالى عنه يشير إليها: سبحان الله وبحمده «مائة مرة» بعد الصبح إلى الطلوع، وبعد صلاة العصر إلى الغروب، وثوابها كل مائة منها مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة، وهو عدد الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.

وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، كذلك بعد الصبح إلى الطلوع، وبعد العصر إلى الغروب «مائة مرة». وثوابها بكل مائة كأنه أعتق مائة من ولد إسماعيل عليه السلام، وكأنما حج مائة حجة، وكأنما قرب مائة بدنة لله، وكأنما ألجم مائة فرس فى سبيل الله.

وان زاد: ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله، ثوابها بلا حساب.

والفضل المذكور عن ذكرهما قبل الغروب وقبل الطلوع، وإذا ذكرهما فى وقتيهما المذكورين يكون أزيد من ذلك موافقة للآية:

﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها﴾ (٩٩).

وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله إنه كان توابا «سبعين مرة» فى الصباح فقط بعد صلاة الصبح وثوابها سبعمائة حسنة.

ومن جهة ما ذكرت أن المريد إذا تلقى الذكر عن شيخه مع تركه محبة شيخه أو تركه رأسا ثم رجع إليه، فإذا رجع فهو مقبول ولو من غير تجديد: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» (١٠٠).

ومن جهة ما ذكرت من الأوراد الأخر من المسبعات وغيرها له الثواب، ولكن الأفضل أن يلازم على أذكار أوراد شيخه، لأن السر والمدد فيها.

ومن «الحول» فإنها أسلوب أهل الحجاز مع أن كل إنسان يصنع ذلك صدقة للميت على حول وفاته كل سنة وما يصنعه إلا أحب الخلق إليه، ونحن ما أحد أحب إلينا من سيدى أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه.

ومن جهة فضله لفاعله والمعين فيه والمتسبب فيه، ومن حضره فشىء لا يحصى ولا تسعه كتابة الدفاتر، ولا تسعه العقول ولا يسعه إلا الإيمان بالله تعالى.

---

(٩٩) طـــه: ١٣٠.

(١٠٠) رواه ابن ماجه عن ابن مسعود، ورواه غيره عن أبى سعيد.

ولفاعله اليد العليا عند سيدى أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه، لأن أهل الله أهل المروءة والكرم فيكافئون من صنع معهم المعروف بأضعاف كثيرة بحسب مقامهم.

ومن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة.

وفى هذا القدر كفاية، وشدوا حيلكم على التعاون فى الطريق، وإدخال الناس فيه لحصول النفع للمسلمين، لأن أهل السمٰوات وأهل الأرض حتى النملة فى جحرها والحوت فى البحر يصلون على معلمى الناس الخير، والمتسبب فى الخير كفاعله، وبلغوا سلامنا إلى كافة من يحوى مقامكم، والسلام.

شرح الخطاب لسيدنا ومولانا الشيخ صالح الجعفرى

شرح خطاب سيدى إبراهيم الرشيد رضى الله تعالى عنه «قوله»: وقال بعض الناس لسيدى أحمد رضى الله عنه: دلنى على من أسبق إلى الله تعالى، فقال: «عليك بالتهليل».

قال سيدنا ومولانا العارف بالله تعالى الشيخ صالح الجعفرى وفقه الله تعالى: للشيخ الواصل نظر للمريد يكشف به عن حاله، ثم يلقنه الذكر الذى يليق بحاله، كالطبيب يعرف المرض ثم يصف الدواء الشافى له، ولعل هذا السائل كانت نفسه أمارة ظلمانية، فأمره السيد بالتهليل لتذهب ظلمته ويستنير قلبه، فرضى الله عن سيدى أحمد بن إدريس صاحب العلم النفيس.

«قوله»: وسأل آخر، قال: «عليك بالعظيمية وما يفضل عليها شيء في الأسبقية إلى الوصول إلى الله سبحانه وتعالى».

قال سيدنا ومولانا العارف بالله تعالى الشيخ صالح الجعفري رضى الله عنه: لعل هذا السائل كانت نفسه نورانية فاستحقت الوصول، فدله السيد بنفسه العالي إلى أفضل شيء في الأسبقية، وهي الصلاة العظيمية المختصة بطريق سيدى أحمد رضى الله تعالى عنه، ووجه الأفضلية الجمع به صلى الله عليه وآله وسلم.

واعلم يا أخانا أن الإنسان

- تارة يمزق الحجب بأعماله.

- وتارة باتصاله.

- وتارة يستصبح في طريقه بتوفيقه.

- وتارة بتحقيقه.

- وتارة يرى أعباءه على نفسه، فينقص في أنسه، وتارة يرى أعباءه على غيره فيغدق في خيره، ومتى اتصلت بسيد السادات، فقد ضلت عنك المضلات، وتنزلت عليك البركات، ولم يحاسبك البواب.

«يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب».

فالداخلون جنة الشهود بغير حساب، هم المتصلون بالنبي الأواب صلى الله عليه وآله وسلم.

وإذا كانت هذه الصلاة العظيمية توصل تاليها وتدخله في حضرة

القدس بغير حساب، فلازم عليها ما استطعت فإنها نعمت التجارة وقد ربحت.

«لطيفة» التقيت برجل صالح من الشام من ذرية سيدى عبد الغنى النابلسي رضى الله تعالى عنه يسمى السيد عبد الله النابلسي رحمه الله، وذلك منذ عشرين عاما، وكان مشهورا لأنه يعطى أحبابه أذكارا يذكرونها وفوائد تنفعهم، فقبلت يده وقلت له: يا سيدى، أريد منك فائدة، فنظر إلى رأسي ثم إلى جميع جسمي ثم قال لي: «صل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم». وكنت قد رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل ذلك فأمرني بالصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم رأيته صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك، وأمرني بالصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم.

ومرة رأيته صلى الله عليه وآله وسلم وأنا أقرأ الصلاة العظيمية فقلت له صلى الله عليه وآله وسلم: أصلى عليك بهذه الصيغة يارسول الله؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «بها وبغيرها».

«وللمناسبة» لما توفى السيد عبد الله النابلسي وذلك بعد وفاة السيد محمد الشريف رضى الله تعالى عنه قال لي بعض الإخوان من السودان: إن السيد عبد الله النابلسي يأتيك في النوم فتحدث معه بما تريد، واطلب منه فائدة لقضاء الحوائج.

وبعد العشاء قرأت له الفاتحة ويس، ونمت ناويا مقابلته، ففي أول

منامى رأيت أننى أدخل باب غرفة، ورأيت السيد محمد الشريف عبد العالى شيخى جالسا على سرير، فقال لى بغضب ورفع يديه: «ماذا تريد من السيد عبد الله النابلسى؟ ألم نأذن لك بالأحزاب والأوراد؟ مثل هذا كثير عند والدى» فاستيقظت من منامى وأنا فى تعجب من أمرى هذا.

قوله: «والأنس يكون بحسب حاله ووقته».

قال القطب الغوث سيدنا ومولانا الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه: الأنس بالذكر التلذذ به، ووجود حلاوته فى القلب يكون بأمرين:

الأول: حال الروح، وهو الصفاء الذى يكون عند التلاوة كالذوق عند الطعام.

والثانى: الوقت المناسب كضوء النهار عند القراءة، فكما أن الأحوال تتفاوت كذلك الأوقات تتفاوت.

وقد جعل سيدى أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه حينما كان باليمن ثلاثة أوقات للدروس، وقتا بعد الإشراق إلى ارتفاع الشمس، ووقتا بعد العصر، ووقتا خاصا بعد العشاء.

ومن أفضل الأوقات السحر لا سيما للاستغفار. قال تعالى: ﴿والمستغفرين بالأسحار﴾ (١٠١).

(١٠١) آل عمران: ١٧.

وعند نزول المطر وعند بكائك وخشيتك وغير ذلك، ولا سيما وقت التجلى الذى أنت تدريه.

قوله: «فكل ما يفتح به الباب ويحصل منه زيادة الأعمال فى هذه الأذكار يكثر منها».

يقول قدوة السالكين وسراج الواصلين مولانا الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه: هذا الكلام الذى ذكره سيدى إبراهيم الرشيد رضى الله تعالى عنه ليس للمبتدئين بل للسالكين الذين وصلوا إلى الأحوال وهم يسمون أرباب الأحوال.

أما المريد المبتدىء فيلقن الأوراد عن شيخه على حسب التقسيم المروى عن صاحب الطريقة، فلا يخالف المريد ذلك التقسيم الدورى للأحزاب والمحامد والصلوات، فإذا أراد زيادة أوراد لفراغ عنده فليراجع شيخه حتى يأذن له بما يناسبه.

يقول قدوة السالكين وسراج الواصلين مولانا الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه: والذى أوجه إليه المريد بعد فراغه من أوراده:

أن يتعلم ما تيسر من كتاب الله تعالى.

ومن الفقه الذى يصحح به عبادته.

ومن علم التوحيد ما يصحح عقيدته، حتى تقوى شريعته التى عليها مدار حقيقته.

قوله: «لأن الأحزاب لا يدرون معانيها إلا بعد الفتوح».

غـذاء الـروح

يقول صاحب الفيض الثرى مولانـا الشيخ صالح الجعفرى: صدق صاحب العلم المفيد سيدى إبراهيم الـرشيد رضى الله تعالى عنه، لكن ذلك لا يمنعه من قراءتها، لأن الأحزاب فيهـا غذاء للروح فهى كالغذاء والمريـد المبتدىء كـالطفل، فالطفل فى أول أمـره لا يدرى بـالغذاء، ولكن الغذاء يقـويه شيئـا فشيئا حتى يأتى عليه زمـان يدرك فيـه الغذاء وأسمـاءه وأنواعـه، وإذا درس علم النبـات ربما أدرك مـا احتوى عليـه الطعـام من خضـــراوات، وإذا درس علم الطب أدرك مـا فيـــه من المقويات.

كذلـك الأحزاب تقوى الـروح حتى تدرك من معـانيها مـا على وفق قوتهـا وعلمها وصفائهـا، فالأحزاب تـدرى بالأحزاب، وبـاقى الأذكار تقوى الروح على الإدراك، ولكل ذكر فـائدة وخصوصية، فمثل الأذكار كـالفواكـه المتنوعـة تحمل للجسم أغذيـة مختلفة بهـا تتكامل قـواه، كذلك الروح مع الأذكار المختلفة.

قولـه: «ولكن الأفضل أن يـلازم على أوراد أذكار شيخـه، لأن السر والمدد فيها».

يقول سيدنا ومولانا الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه: قد تقدم هـذا البحث عند قصة الشيخ أحمـد الجيلانى الجـزائرى فى هذا الكتاب (١٠٢).

(١٠٢) انظر ما تقدم ص٥٦، ٥٧.

وقول الشيخ الـرشيد رضى الله تعالى عنه: «لأن السـر والمدد فيها» ظاهر لمن كشف الله عن بصيرته.

الخـير كل الخير فى أوراد الطريق

اعلم أن أوراد الشيخ فيهـا خيرات كثيـرة من أهمهـا السر والمـدد، فالمدد هو عبارة عن أنوار الذكـر المأذون فيه تمد به الروح لتقوى وتتهيأ للتجليات.

والسر هو ما يحصل لها من الكشف بعد ذلك.

ـ فالمدد فى الأوراد يتوقف على شيئين: الشيخ والاذن.

ـ ويتبعهما شيئان: الاستقامة والاجتهاد.

ـ ويتبعهما شيئان: حب للشيخ وعدم اتخاذ شيخ آخر معه.

وينشأ عن ذلك شيئان: المدد والسر.

وينشأ عنهما شيئان: انفصال واتصال.

ـ وينشأ عنهما شيئان التخلى والتحلى.

ـ وينشأ عنهما شيئان الكشف والشهود.

ـ وينشأ عنهما شيئان الوجد والحال.

ـ وينشأ عنهما شيئان القرب والتلذذ.

وينشأ معهمـا شيئان كـان الله ولا شىء معه وهـو الآن على ما عليـه كان. وعنـد ذلك تفوح أعطاره، وتلـوح أنواره، وتظهر أخبـاره، وتكثر زواره، وتكثر رقائقه، وتتزاحم حقائقـه، وينطق بالحكمة وينفع للأمة. قال ابن الوردى رحمه الله تعالى:

لا تقل قد ذهبت أربابه كل من سار على الدرب وصل

قال بحر العلوم ونبراس الفهوم مولانا الشيخ صالح الجعفرى :

إن الأساس فى الطريق الإذن أنت به للشيخ حقا ابن
تتصل الروح به اتصالا ينال باتصاله كمالا
تقاربا تشابها تآلفا تحاببا تواددا تعارفا
يكون فى ميراثه كولده يسكنه فى قلبه وخلده
وربما تشتبه الأحوال والفعل والهيئة والمقال
لقوة الروح التى تتصل من أجل ذا تراه لا ينخذل
بل أمره كأمره أمر عجب فى قوله ودرسه وان خطب
وهذه عندهمو تسمى حقيقة الإرث لمن أتما

يرقبه الشيخ ولا ينساه يذكر الشيخ لمن رآه
لا سيما الشيخ الإمام الأكبر أعنى ابن إدريس الشريف الأنور
فكم له من درر غوالى للآخذين عنه باتصال
بحر العلوم معدن المعانى منور الظلام بالقرآن
فى ركعتين يختم القرآنا الختم قد رواه يا أخانا
عليه من ربى الرضاء الدائم ورحمة الله له تلازم

قوله : «الحول» قلت : ويسمى الحولية والمولد والميعاد، وهو عبارة عن صدقات تقدم للميت تصل إلى الميت باتفاق فى أى وقت كان. وليس بلازم أن تكون الصدقة فى وقت معين بل هى تصل فى جميع

الأوقات، وقد تصدق سيدنا سعد رضى الله تعالى عنه على أمه بحديقة له فأقره النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وأمره أن يتصدق عليها أيضا بالماء، وهذا الحديث فى الموطأ والبخارى وغيرهما.

وقد وفى الكلام على ذلك شيخنا حبيب الله الشنقيطى فى شرحه على «زاد المسلم».

واعلم أن كل ميت يعلم بالصدقة المتصدق بها عليه، ويعرف صاحبها وهى إحسان عظيم، والجزاء عليها من الله تعالى عظيم.

﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ (١٠٣).

قوله : «ونحن ما أحد أحب إلينا من سيدى أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه».

يقول وحيد عصره وفريد دهره بحر العلوم اللدنيّة وكنز العطايا الإلهيه وخزينة الإمدادات الحسينية مولانا الشيخ صالح الجعفرى: هذه الجملة الطيبة ذات القول السديد لم ينفرد بها سيدى إبراهيم الرشيد، ولكن قالها سيدى الختم السيد محمد عثمان، وقالها سيدى محمد بن على السنوسى، وقالها سيدى محمد بن سليمان الأهدل مفتى زبيد، وقالها كل من أخذ عن سيدى أحمد رضى الله تعالى عنه، وكل من أخذ ورده إلى يومنا هذا رضى الله تعالى عنهم أجمعين.

ومعنى هذه الكلمة : لا أحد أحب إلينا بعد الله تعالى وبعد رسوله

---

(١٠٣) الرحمن: ٦٠.

صلى الله عليه وآله وسلم وبعد أهل بيته رضى الله تعالى عنهم وبعد أصحابه رضى الله تعالى عنهم من سيدى أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه. اللهم انفعنا بمحبته وإخواننا أجمعين آمين.

ولنرجع إلى كلام سيدى أحمد بن إدريس فى ثنائه على صلواته:

قال رضى الله تعالى عنه:

«تتلو عليك من كتاب الحقائق المحمدية محكم الآيات، وتفسر لك بعض نقش حروف آياته البينات».

يقول العبد الفقير مولانا الشيخ صالح الجعفرى المفتقر إلى رحمة ربه العلى الكبير:

كتاب الحقائق المحمدية هو الذى وصل إليه العارفون بمعرفتهم بعد أن كشفوا الحجاب بهمتهم، فاتصلوا بعين الحقائق، فأملى عليهم من بديع الدقائق ما عز على عقولهم الوصول إليه إلا به، فتعرفوا إليه به فى عالم ما وراء الحس من غير ريب ولا لبس، كما تلقاها شيخ المشايخ عن صاحبها، فصارت بديعة فى عجائبها.

فتارة تسمع «قوة الحوقلة، وكفاية الحسبلة، ورحمة البسملة».

إذ لولاه صلى الله عليه وآله وسلم ما نفعك شىء من هذه الأذكار، فالإيمان به صلى الله عليه وآله وسلم هو السر الذى به تصل إلى منافع الأذكار والعبادات.

قال عين الحسن والكمال سيدى الشيخ صالح الجعفرى.

لولا النبى المصطفى ما قبلا ... إيماننا إسلامنا كلا ولا
صلاتنا صيامنا والذكر ... والحج والزكاة ثم النحر
سر القبول فى جميع العمل ... مفضل مشفع فى الزلل
لولاه لم نعرف إله الناس ... كلا ولا كنا من الأكياس
وسيلة الخلق إلى الرحمن ... دنيا وأخرى واضح البرهان
وهو الشفيع يوم حشر الخلق ... شفاعة ثابتة بالحق

وتارة تسمع: «اللهم صل على الكمال المطلق والجمال المحقق».

يقول خزينة الإمدادات الحسينية مولانا الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه: الكمال المطلق المدرك لأهل حضرة الإطلاق المشاهدين لمن ليس معه لباب إغلاق. والجمال المحقق عند المتحققين بحقائق العلم. كأمثال السيد الختم رضى الله تعالى عنه حيث يقول:

علمه منه العلوم منه العلوم ❋ كعيون من بحور تمتلا

وللمشاهدين حقيقة الجمال كسلطان العاشقين سيدى عمر بن الفارض رضى الله تعالى عنه حيث يقول:

بجمال حجبته بجلال ❋ هام واستعذب العذاب هناكا

وتارة تسمع: «يا عين حياة الحسن الذى طارت منه رشاشات فاقتسمتها بحكم المشيئة الإلهية جميع المبدعات».

قال سيدنا ومولانا الشيخ صالح الجعفرى: وذلك فى المعنويات أيضا كما أشار إليه البوصيرى رحمه الله تعالى بقوله:

وكلهم من رسول الله ملتمس

غرفا من البحر أو رشفا من الديم

فمن تعرض لتلك الرشاشات أدركته، ومن أكثر من هذه الصلوات وصلته.

فعليك يا عبد الله بالإكثار من صلواتنا هذه فإنها ميزاب الرحمة التى تتنزل على قلبك بإذن ربك فتحيا حياة طيبة يطيب عيشك بطيبها، وتلتقى روحك بحبيبها.

فأفق من غفلتك لفائق أنسك، وشمر عن أرض جسمك لحضرة قدسك، فبصلواتنا هذه صلة روحك بروح من أمر الله، فلا تغفل عن ريحانها الذى فاحت أعطاره، ولا عن بدرها الذى لاحت أنواره، ولا عن معانيها التى تترجم عن بديع مبانيها، فأبن روحك عن نفسك وابن من لبن مبانيها بيتا أساسه «لا إله إلا الله محمد رسول الله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله».

فابدأ بالصلاة الأولى موليا قلبك شطر قبلة القلوب، صلى الله عليه وآله وسلم، كساكن صبيا وساكن جغبوب، فكم رفعت لهما أعلام عِزٍ عزت، وكم تليا للصلوات، وبركاتهما لأحبابهما عمت.

*****

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثانى

القـــاعدة الثانية: الإخلاص

قال سيدنا ومولانا أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه ونفعنا بعلومه آمين:

أن لا يفعل فعلا ولا يقول قولا حتى يقصد به وجه الله تعالى فإن صحح القصد فيه لوجه الله تعالى وغسل قلبه من كل شائبة لغير الله ورسخ فى هذه القاعدة قلبه صار لا يتكلم ولا يفعل فعلا إلا عن تثبت وتأن، وصارت أعماله كلها خالصة لا مخالطة فيها بوجه من الوجوه، وهذا معنى قول خالقنا جل وعلا لرسوله الأعظم، وحبيبه الأكرم، صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه﴾(١) أى لا غيره فى جميع أمورهم. وقال عز وجل: ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى * إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى * ولسوف يرضى﴾(٢).

---

(١) الكهف: ٢٨.

(٢) الليل: ١٩ ـ ٢١.

تجلى الأفعال

قال سراج الواصلين وقدوة العارفين سيدنا الشيخ صالح : قوله رضى الله تعالى عنه .

«أن لا يفعل فعلا ولا يقول قولا حتى يقصد به وجه الله تعالى» .

قال كنز العطايا الإلهية سيدنا ومولانا الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه وارضاه : الصادر عن الإنسان إما أن يكون قولا و إما أن يكون فعلا ، وللنفس عندهما حركات وأحوال تمحى وتتلاشى عند التجلى المسمى عندهم بتجلى الأفعال ، وهو أول تجل يحصل للمريد فى أول أمره ، وبه ينفى عن نفسه نسبة الإيجاد التى هى منشأ الرياء والسمعة .

فإذا تمكن فى هذا المقام رفعت عنه التبعات والملامة ، ولا يضع قدمه فيه إلا بالإخلاص لله تعالى ، وهو أن يقصد بعمله وقوله وجه الله تعالى ، فإذا قصده وجده ، و إذا وجده عبده ، و إذا عبده قربه ، و إذا قربه تجلى عليه بتجلى الأفعال ، المنقذ له من الأباطيل والأوحال ، لأن العمل كالراحلة الموصلة إذا وجهت إلى الجهة المقصودة وصلت ، و إذا وجهت إلى غيرها كلما سارت ابتعدت ، فلا تجعلن عملك المقرب مبعدا ، ولا قلبك لما فيه من اليقين مفندا ، إنما إخلاصك من يقينك ، و إن يقينك هو عين دينك .

قال عليه الصلاة والسلام : «اللهم إنى أعوذ بك من الشك فى

الحق» . ومن ذلك الإخلاص الذى أوصى به السيد ابن إدريس رضى الله تعالى عنه .

فيوضات وحكم وأنوار جعفرية

قال سيدنا ومولانا الشيخ صالح الجعفرى :

حكمة غريبة أفيضت بفضل الله تعالى على قلبى ستسمعها ان شاء الله تعالى فأقول :

اعلم يا من هداه الله إلى دينه ، ومن عليه بعين يقينه ، أنك إذا أخلصت لله تعالى فى عملك ، وأقبلت عليه بقلبك ، أقبل الحق سبحانه عليك . و إذا أقبل عليك صارت الدنيا والآخرة كأنهما بين يديك . وتغلبت روحك على جسمك فبرزت . وأنوار أقوالك على أقوالك فلمعت . وآثار أفعالك على أفعالك فسطعت . فصار جسمك عيونا إلهية للتجلى . وتأهبت روحك للتخلى . ورددت قول ابن الفارض رضى الله تعالى عنه :

* مذ صار بعضى كلى *

فصرت تسمع القرآن منك لما تكرم عليك ورضى عنك . وجعل لسانك ممرا للوحى الإلهى المنزل على القلب المحمدى . وجعل قلبك مهبط الفهم الربانى . ومحل التنزل لذلك السر الخفى . فقلت ما قاله ابن الفارض الصالح الولى :

ولاح سرٌّ خفىٌّ * يدريه من كان مثلى

وكلما خرقت العادة فى إخلاصك ، أطلقت من وخيم أقفاصك ، حتى تصل به إلى ما وصل المخلصون ممن تجلى عليهم الحق سبحانه

بنعمة الإخلاص السارى فى السر السارى، وبه يفتح لشعاع شمسه فتضىء جوانب قلبه. فيشاهد رئيس حزب الله مع حزبه. ﴿أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ (٣).

والعمل كالجسم والإخلاص فيه كالروح، فعمل بغير روح ما عليه نور يلوح، ولا منه طيب يفوح، فاسق يا أخانا أشجار ورودك بالإخلاص الذى فى وردك كى تحيا أشجاره، وتفوح أعطاره، وتغرد على أفنانه أطياره. فتطربك نغماتها. وتحركك إلى الملأ الأعلى غريب لغاتها. فتهتز منك الروح طربا، ويدهش العقل عجبا، عند رفع أستار غوامض دقائق حقائق خفيات أمور عز على القلم تسطيرها، وقلبك ترجمانها وخبيرها. فسله عنها. فإنه لا يسلو عنها. وسله عن الإخلاص وأين مقره منه، إذ به قد قرت عيناه. وعظمت جدواه. واهتزت أرضه وربت. وأحبت وعشقت. ولبت فأنبتت ما حير الأفكار الوصول إلى جنى ثماره. والوقوف على دقائق أخباره. والنظر إلى وامض برق أنواره.

وهل عرفت الإخلاص حتى تطلبه؟ فإذا طلبته وجدته، وإذا وجدته أعجزك حصره. وحيرك سره. فكيف تخلص لمن خلق إخلاصك. وبيده خلاصك، أم كيف تقصده بالعمل وقد خلقه وأبداه؟ وكونه وبراه. ويعلمه ويراه قبل أن تقصده به وتخلص له فيه. فواعجبا ثم

(٣) المجادلة: ٢٢.

واعجبا ممن قصد به غيره وليس لغيره فيه ذرة بوجه من الوجوه. ولذلك قال بعضهم:

«الإخلاص أن لا ترى الإخلاص»

ومعناها من ضمن الإخلاص لله فى العمل والقول أن لا ترى إخلاصك منسوبا إليك خلقا وإيجادا، ولا أنت الذى سقته إليك حيث وجدت استعداده، فهذا القائل يذكرك بكلامه أن المهيمن هو الله تعالى، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله.

وبعضهم يقول: الإخلاص أن تقصد بعملك وجه الله تعالى. قاله النووى رحمه الله تعالى، ويقال لصاحب هذا القول كيف يقصد من لا قصد له؟! وكيف نسب من لا عمل له؟! فإن قال عملت فما أخلص. وان قال قصدت فما أنصف. فكيف الوصول إلى الإخلاص يا أهل الصفا؟! قالوا: هو لمن صفا وتبرأ من الحول والقوة وأنصف وغاب عن إخلاصه وعمله. وعن تفكيره وأمله فيما هو أعز وأرقى، حيث طلعت شمسه وترقى، فصار ليله كنهاره. وأضاء ليله بأقماره. واستشهد بالنجم حيث سهر وقال:

واسأل نجوم الليل هل زار الكرى
جفنى وكيف يزور من لم يعرف

وتلذذ بخطابه حيث وقف على بابه.

وقال له ما قال. وهو فى مقام الأنس والدلال. نادته الجنة وحورها فأعرض عنها. ونادته النار فما خاف منها. وظهرت له الدنيا فما مال

قلبه إليها . وتيسرت له الأسباب فلم يعول عليها . وصار وهو فى أمصاره كسكان البوادى . هاجرا للمحافل والنوادى . راضيا وحده بأنيسه . تائها بدندنته مع جليسه . قال عليه الصلاة والسلام : «حولها ندندن» .

فقال أهل الظاهر : حول الجنة الزكية .

وقال أهل التصوف : حول الحضرة العلية ﴿**ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات**﴾ (٤) . فهلا استبقت مع المستبقين ، أم كنت من النائمين ، أم لعبت بالدنيا مع من لعبوا بها فألبستهم ثوب الخيلاء ، وتسلط عليهم إبليس فأمر فيهم ونهى . ﴿**أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون**﴾ (٥) . فهل قارنت بين الحزبين ، أم تجاهلت المقارنة لوضوح الفرق . أم التبس عليك الأمر حتى قلت : لا خلاف ولا فرق . وكيف يدرك الفرق من فقد البصيرة ، وهو يدرك بها لمن ظهر نور بصيرته . فكان له دليلا بعد حيرته . فوصل إلى علم بعد جهل .

و إلى عدل بعد ظلم . و إلى غنى بعد فقر .

واعلم أن هذه الثلاثة التى ذكرها السيد أحمد رضى الله تعالى عنه وهى :

- الأولى : صحة القصد لوجه تعالى .
- والثانية : غسل القلب من الشوائب .
- والثالثة : الرسوخ ، فهى أوتاد تلك الخيمة التى سترى عجائبها ، وتعرض عليك غرائبها ، وفكر كيف السيد رتبها بهذا الترتيب؟! .

(٤) البقرة : ١٤٨ . (٥) المجادلة : ١٩ .

وذلك أن مثل التوجه والغسل والرسوخ كمن قصد زيارة السلطان ، فإنه إذا صح قصده اغتسل ونظف ثيابه للمقابلة ، فإذا وقف أمامه رسخ وثبت ، واعلم يا من توجه إليه فؤادنا ، وخاطبناه بروحنا : أن المريد إذا قصد بعمله وجه الله تعالى خرجت روحه من جسده . وهذا هو غسلها حتى تتلقى مشاهدة من تلاشت أمام معرفة كنه ذاته العقول . بمصباح من أمره لا مادة له ولا أفول ، فتسقى فى حضرة أنسه ما فى وصفه ابن الفارض رضى الله تعالى عنه يقول :

صفاء ولا ماء ولطف ولا هوى

ونور ولا نار وروح ولا جسم

وبهذا الشراب الذى تشرفت بشاربيه البرازخ ، يكون المريد مريدا ، ويوصف بالثابت الراسخ ، والحذر ثم الحذر من الزلل بعد الرسوخ فى طريق الله ﴿**فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله**﴾ (٦) فما زل من عرف ، ومن عرف ما انحرف .

وسبيل الله تعالى كتبه ورسله وأنبياؤه عليهم الصلاة والسلام ، وأولياؤه وعلماء شريعته العاملون العارفون رضى الله تعالى عنهم ، فمن دعا إليهم دعا إلى الله ، ومن صد الناس عنهم صد عن سبيل الله ، لأنهم يبلغون الخلق عن الله بطريق الوحى أو بطريق الوراثة أو بطريق الاستنباط الناشىء عن كمال الوراثة والاتباع ﴿**لعلمه الذين يستنبطونه منهم**﴾ (٧) .

قال سيدنا ومولانا الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه :

(٦) النحل : ٩٤ . (٧) النساء : ٨٣ .

والأولياء سبل الرحمن ... امدادهم من معدن الفرقان
يتفرون النفس عن هواها ... إذا رأيتهم ذكرت الله
فهم جنود الله بين الناس ... يحاربون زمر الخناس
قد سهروا لله فى الليالى ... ومنهم السكان فى الجبال
ومنهم العاكف جوف الغار ... أو ساكن بساحل البحار
ومنهم العالم ذو ارشاد ... ومنهم السائح فى البلاد
ومنهم المجذوب عن هواه ... ومنهم التاجر قد تراه
ومنهم الزارع والحطاب ... ومعشر عن السوى قد غابوا
ومنهم الخفى فى مراآه ... ومنهم الظاهر فى مجلاه
وأهل قبض منهمو وبسط ... وواحد وعصبة ورهط
لولا همو لقامت القيامة ... لما رأيت الناس فى سلامه
إذ بهمو قد يرحم الرحمن ... لخلقه وينزل الأمان
فهم جبال الأرض أن تميدا ... ومن رآهم لم يكن طريدا
فلا تخالف نهجهم تراهم ... ومن رأى بإذنهم يراهم
اجعل رضاك ربنا يدوم ... عليهمو وقلبنا يروم
برؤية الأحباب فى المرائى ... فى هذه الأرض وفى السماء

قال صاحب العلم النفيس سيدى أبو العباس العرائشى مولانا الشريف السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه :

«وصار لا يتكلم ولا يفعل فعلا إلا عن تثبت وتأن» .

قال سيدنا ومولانا سلالة بيت النبوة وحيد عصره وفريد دهره القطب الغوث الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه ونفعنا به فى الدارين آمين يا رب العالمين :

فلما رسخ قلبه ، زال عيبه ، وسمى قلبه ثابتا فصار لا يصدر عنه شىء إلا وهو مصحوب بالثبات كاللقمة الخارجة من العسل لا تخرج إلا وهى ممزوجة بالعسل وكالثوب الذى يوضع فى صندوق فيه عطر إذا لبسته شم منه رائحة العطر ولهذا قيل : «كل قول برز وعليه كسوة القلب الذى برز منه» .

ويؤخذ من كلام شيخنا السيد أحمد رضى الله تعالى عنه أن الفعل كذلك . ومعنى الثبات : هو ثبات القلب عند مشاهدة الحق سبحانه وتعالى عن أن يرى فيه ما لا يليق بمشاهدته تعالى .

«حكاية» كان الشيخ حجة الإسلام الغزالى رضى الله تعالى عنه يدرس الفقه فوصل إلى باب الحيض ، فوقف يصلى إماما وفكر فى باب الحيض الذى سيقرؤه ، وكان له أخ عابد صوفى يصلى خلفه فكشف له عن ذلك فخرج عن الصلاة .

فيجب على الصوفى العارف أن يكون ثابت القلب عند المشاهدة الإلهية عن الحركة القلبية إلى الغير أو التفكير فى أى شىء سوى هذا الحال ، وفى الحديث : «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (٨) .

(٨) هذا بعض حديث رواه مسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

والعمل والقول اللذان يكونان عن تثبت ورسوخ هما مثبوتان فى سجل الثابتين .

قال الله تعالى : ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة﴾ (٩) .

والقول الثابت يتبعه العمل الثابت ، ومن ثبت عند القدوم على القول والعمل ، حفظ من الآثام والزلل ، قال سيدى الشيخ صالح الجعفرى :

فحقق ثباتى يا إلهى وإن أمت
وجدت ثباتى عند قبرى وبعثتى
وشيخى هو ابن ادريس بحر موارد
جليسى أنيسى بل إمامى وقدوتى
فإن غاب عن عينى فما غاب حبه
وما غاب عن روحى ولا عن بصيرتى
عليه رضاء الله ثم أمانه
وروح وريحان وأزكى تحية
وآل وأصحاب وكل من انتمى
إلى ورده السامى لدى كل أمة

قال سيدى صاحب العلم النفيس مولانا الشريف السيد أحمد بن إدريس رضى الله عنه :

«وصارت أعماله كلها خالصة لا مخالطة فيها بوجه من الوجوه» .

(٩) إبراهيم : ٢٧ .

قال إثمد العينين مولانا الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه : الأعمال تشمل الأقوال كما فى قوله تعالى : ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ (١٠) . لأنه لما ثبت ورسخ أخلص إخلاص العارفين وذاق شراب الثابتين فأحياه الله بالإخلاص .

وهذا يكاد أن يدخل بالتلويح فى مقام شهود ثبات صاحب العلم النفيس ، سيدنا السيد أحمد بن إدريس رضى الله عنه حيث يقول : «حتى لا تتصرف لى جارحة إلا بإذن صريح» .

قال نور العينين مولانا الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه : وهذا الإذن لا بالأذن يسمع ولكن لمن علا نوره مناره فصار فى مقام الجمع يجمع ، فانتقل بالوداد ، من واد إلى واد ، وتنزلت عليه واردات الأوراد . فوقف وقفة عرفاته وراء الوراء ، وهناك الإذن الصريح لأهل النداء .

قد صفا وقتنا وراق الشراب
وتجلت لنا وزال العتاب
وسمعنا من الحبيب الخطاب

ولذلك صار لا مخالفة فى أعماله بوجه من الوجوه ، لما ترك جميع الوجوه لوجه واحد ، وشمر فى مقام الشهود عن الساعد ، واستعان بمن أخلص له عن كل معين وسائد ، فهجر الوسائد ، وصنوف الموائد ، فنادته من الجنة قصورها ، وحيته من خيامها حورها ، ففر إلى منى ذات الخيام ، فذكرته خيامها الخيام ، فساق إليه ريح الجنة نحو

(١٠) الصافات : ٩٦ .

مسجد الخيف روائح، وذكر المطية على الصراط لما رأى من الهدايا الذبائح، فإنها تذكر الأضاحى لمن أضحوا مضحين، وكأنها سارت بهم على الصراط إلى دار المتقين.

وذكرته القبة التى فى وسط مسجد الخيف النبى الأنور صلى الله عليه وآله وسلم، لأنه نزلت عليه فيها سورة الكوثر. وتذكر الخليل ورؤيته. والذبيح وقصته عليهما السلام. وهكذا تنفع المؤمنين الذكرى. فذكر المؤمنين ولك البشرى.

واعلم يا من أحبنا فى الله الأكرم، وفقك الله للعمل بما تعلم، لا تجعلن حجاب نفسك ساترا لك عن طهر قدسك، ولا تقوينه بكثرة طعامك وشربك.

تلاوة القرآن تفتح لك الأبواب

ولقد كان لنا فى تلاوة القرآن أجل تمزيق لتلك الحجب، وأسرع ما يكون فى رفع الرتب، فلا تجعلن كلامى هذا منك موضع الاغفال، ولازم تلاوة القرآن تفتح لك الأقفال، فما وجدنا أسرع للفتح منه لمريدنا ممن عرفناه وعرفنا.

واعلم ثم اعلم وافتح مسامع قلبك لما سيلقى عليك، أن لكل حرف من القرآن نورا وعلما وسرا ولطفا وخيرا وبرا ونصرا وكشفا ووجدا وقربا ونصحا وحبا وثباتا، ويثاب التالى بكل حرف عشر حسنات.

فإذا تلوته حركت سحب غيث حروفه جميعها فيهطل عليك نفيس نفائس جواهر باهر ما فيها، فتتلاشى أمامه الدنيا ومبانيها، فهو إمامك المبين، وجليسك الأمين، يبين لك ما أبهم عليك، ويفتح باب

الخيرات إليك، دواء قلبك إذا سقم، وأرحم بك من كل قريب ورحم، وهو المدافع عنك أمام الأهواء إذا عصفت عواصفها، ويصف لك سبل نجاة عز واصفها، وهىء نفسك عند تلاوته لما هو أعظم، وسلم عند متشابهه وقل الله تعالى أعلم.

قال سيدى الشفاء سلالة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم مولانا الشريف السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه:

«وهذا معنى قول خالقنا جل وعلا لحبيبه الأكرم ورسوله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه**﴾ (١١) أى لا غيره فى جميع أمورهم.

قال إمام العارفين وقدوة المحققين وسلطان المادحين شيخنا سيدى صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه وعن أجداده:

استدل السيد رضى الله تعالى عنه بهذه الآية على ما قدمه لك فى هذه القاعدة الثانية، ثم فسر وجه الدلالة بقوله: «أى لا غيره فى جميع أمورهم».

قال سلالة خاتم الأنبياء مولانا الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه ونفعنا به آمين: معنى الأمور: الأحوال، وهى إما أخروية وإما دنيوية، فالأخروية تسمى عبادات، والدنيوية تسمى عادات.

والعبادات يثاب على فعلها، والعادات قد يثاب عليها بالنية كمن

(١١) الكهف: ٢٨.

أكل الطعام ونوى بـه التقوية على الطاعة، وكمن لبس الثـوب ونوى به ستر العورة للصلاة، وبهذا يستطيع أن يريد بجميع أموره وجه الله تعالى حتى لو أطعم كلبا أو هرا أو سقاهما أو قدم كلأ لبهيمة أو سقاها إلى غير ذلك، قال عليه الصلاة والسلام: «فى كل ذى كبد حرا صدقة».

أى فى كل حى من إنسان أو حيوان أو بهيمة أو طير تفعل معه خيرا لوجه الله تعالى، ولو أن تنقله من الشمس إلى الظل لك صدقة وثواب. قال الشاعر:

كن راحما لجميع الخلق كلهم

وانظر إليهم بعين اللطف والشفقة

وقد ورد فى الحديث أن امرأة دخلت الجنة بسقيها لكلب، وأن امرأة دخلت النار بهرة قتلتها عطشا وجوعا.

وقول السيد أحمد رضى الله تعالى عنه:

«لا غيره فى جميع أمورهم».

قال خزينة الأنوار والأسرار الحسينية شيخنا سيدى صالح الجعفرى رضى الله عنه: هذا نفى للغير عند من نفوا عن أنفسهم الأغيار وأميطت عن أرواحهم الأستار، فلم يشهدوا غيرا حتى يريدوه، ولا رقيبا غير الله حتى بأمورهم يقصدوه، غابوا عمن سواه فغاب من سواه عنهم، رضوا بالله مرادا فرضى الله عنهم، الغير ظلام وهم قد سلخ ليلهم عن

نهارهم، فصاروا فى نهار لا ليل معه لمحو آثار أوزارهم، تريد أن تخدعهم الدنيا فخدعوها، وتريد أن تملكهم النفس فملكوها، إذا ضحكت لهم الدنيا قالوا: «شر أهر ذا ناب» وإذا عرضت عليهم نفسها قالوا لها: «الدنيا جيفة وطلابها كلاب».

وانظر فى قوله تعالى: ﴿**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه**﴾ (١٢) وكيف أكرمهم الله تعالى حيث أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر معهم، ولم ينالوا هذه المنقبة بذكرهم بالغداة والعشى، ولكن بما هو أشرف من هذا وهو إرادتهم وجه الله الكريم، فالإرادة حققت الكرامة، فلما أرادوا وجه من ﴿**كل شىء هالك إلا وجهه**﴾ (١٣)، أمر خير خلقه صلى الله عليه وآله وسلم بأن لا تعدو عيناه عنهم، فهم وإن كانوا فى شوق إلى من غابت عنهم رؤيته، فقد أقر أعينهم بمن شرفتهم نظرته، إذا رأوه ذهبت أحزانهم، وازداد إيمانهم، وإذا رآهم قواهم ورباهم، سراج منير تستنير به قلوبهم، وشاهد ومبشر لهم بما تقر به أعينهم، ونذير لهم ينذرهم ويحذرهم، وداع لهم إلى الله بالله إذا جاءوه أو جاءهم ﴿**ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله**﴾ (١٤)، ولما كان صلى الله عليه وآله وسلم نبى التوبة ونبى الرحمة قال سبحانه: ﴿**لوجدوا الله توابا رحيما**﴾ (١٤).

---

(١٢) الكهف: ٢٨.

(١٣) القصص: ٨٨.

(١٤) النساء: ٦٤.

«فائدة» يقول سيدى الإمام العارف بالله تعالى شيخ الطريقة الجعفرية فضيلة الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه مستمدا من فيض الرب الأكبر: إذا عصتك نفسك وخالفت وعن الفضائل تخلفت، وعن دعوة الحق تولت، وصارت جموحة الأخلاق، منفرة للرفاق، أجدبت أرض قلبها، بنسيانها لذكر ربها، وتسربلت بالخمول والكسل، وصارت حليفة البطالة والفشل.

عليكم بالإكثار من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فعليك بالإكثار من الصلاة على نبى التوبة صلى الله عليه آله وسلم، لأنك إذا أكثرت من الصلاة والسلام عليه وصلك، وإذا وصلك تاب الله عليه ورحمك.

وهذا أقرب سبل الخير المنقذة لك، واجعله المرئى لمرآة قلبك، متوجها به صلى الله عليه وآله وسلم إلى ربك، فهو إمام روحك المبين، ﴿وما هو على الغيب بضنين﴾ (١٥)، سراج أفق الألوهية، لمن أراد أن يسير فى ضوئه إلى حضرة الألوهية، ومعدن الأسرار الربانية، لمن أراد أن يطلع على الأسرار الخفية، لوح علم الله المخزون، لمن أراد أن يطلع على الجوهر المكنون، تبصرة المستبصر، وتذكرة المستذكر، ومفتاح فتح الفاتحين، وقدوة الراسخين المرشدين.

(١٥) التكوير: ٢٤.

وشطرت بيت السيد الميرغنى رضى الله تعالى عنه:

واشهدنى نور جمالك فى ذات المختار أبى السرج
واجعله ممدى بالتحف كلتا الدارين وطب أرج

شهودا خارجا عن المعقولات والمحسوسات لكامل الذات، وجميل الصفات، ومنتهى الغايات، واجعله لى إماما، يقظة ومناما، فى عالمى المعنى والحس، بلا حجاب ولا لبس، واهدنى بنورك إلى نورك، حتى أكون من أهل شهود نورك، وكملنى فى قدم المرقى بنفحات كمالك، حتى أكون من أهل شهود نور جمالك.

فهو صلى الله عليه وآله وسلم الذات المكملة النورانية، بمشاهدته يحصل الكمال والنور، ويتفاوت الكمال والنور تفاوتا عظيما على حسب مراتب القرب منه صلى الله عليه وآله وسلم، فجرد نفسك لنفائس قدسك، لتحظى بجنة قربك، وتأدب بآداب القوم، خشية العتاب واللوم، لكى حبل وصلك يقوى.

﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾ (١٦).

ولا تحد النظر إليه إذا رزقت الجلوس بين يديه:

كأنه وهو فرد من جلالته فى عسكر حين تلقاه وفى حشم

وشطرت هذا البيت الذى للشيخ البوصيرى رحمه الله تعالى:

(١٦) الحجرات: ٣.

كأنـــه وهـــو فـــرد مـن جـــلالتـــه
فى هيبـة الأسـد إذ كـانـت لـدى أجم
كأنـــه حيـن يمشى مـن مهـــابتـــه
فى عسكـــر حين تلقـــاه وفـى حشم

قال سيدنـا ومولانا فضيلة الشيخ صـالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه:

انظـــر إلـى جبـــريـل حين تـأخـــرا
والمصطفى قـــد ســـار فـى أنـــواره
جبـــريل يخشى الاحتـــراق وأحمـــد
يقـــوى بحـــول الله فى أنـــواره
نـــور الجـــلال لـــه الجـــلال وبعـــد ذا
كشف الحجـــاب ونـــال مـن أســـراره
نـــور ولكن ليس كـــالأنـــوار يـــا
أهل الشهـــود كـــذاك فى أعطـــاره
أمـــر غـــريب للقـــريب بقـــربـــه
لاحت لـــه الأنـــوار فـى أذكـــاره
اشـــرب أخى شـــراب أربـاب الصفـــا
واتـــرك طـــريـــد النفس فـى إنكـــاره

أول مـا خلق الله نـور نبيك صلى الله عليه وآلـه وسلم فنبأه وعلمـه،

(١٧) النجم: ٣.

وجمله وكمله، وقدمه وكرمه، وقربه ورفعه، وآواه وقرن اسمه باسمه.

فقال السيد الميرغنى رضى الله تعالى عنه فى الهيام: «وأشهدنى نور جمالك».

أى نور جمال إبداع قدرتك، فى روح منبع حياة حب أهل محبتك، «وطب أرج» لأن مشـاهـدتـه صلى الله عليـه وآلـه وسلم يتبعهـا النـور والأرج، الطّيب الـذى يفوق كـل طيب ومعه الفـرج، الـذى هو لسـان كلمـات الله التـامات المبيـن للناس مـا أنـزل إليهم من ربهم بـالبيـان الإلهى: ﴿وما ينطق عـن الهوى﴾ (٧) السراج المنيـر المسرج لسـرج الإلهيين، ومعدن كنوز الأسرار الدافع بـأنواره شرر الشر عن أهل محبته بلوامع أنواره.

كنت بالجـامع الأزهر الشـريف يوم الأحد الخـامس من ربيع الأول سنة ١٣٨١ هـ الموافق الخامس من أغسطس سنة ١٩٦٢ م.

وقد شطرت بيتا من منفرجـة سيدى مصطفى البكرى الخلوتى رضى الله تعالى عنه:

ودع الأكوان وقم غســقا واتل القـــــرآن بلا حرج
واطرب واشرب ماء غدقا واصدق فى القول وفى اللهج

قـال سيـدنـا وحبيبنا خـزينـة الامـدادات الحسينيـة الشيخ صـالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه:

أيها المريد الصادق دع الأكوان عنك

دع الأكـوان عند مشـاهدة الـرحمن، فإن مشـاهدة الجبـار لا تقبل

الأغيار، وامح صور الكون التى جعلت زينة للأرض وابتلاء لك، فإن وقفت معها أوقفتك، وان فكرت فيها أرشدتك، وان اشتغلت بها حجبتك، وان طالبتها طالبتك، وان فرحت بها أحزنتك، وان تلذذت بها فارقتك، وان استأنست بها أوحشتك، وان أقبلت عليها أدبرت عنك، وان اعتززت بها أذلتك، وان استنصرت بها خذلتك، وان استغنيت بها أفقرتك، وان أحببتها أبغضتك، وان خدمتها استخدمتك، وان قربتها أبعدتك، وان ملأت بها قلبك أفسدته أو عقلك أتعبته، أو جللتها صغرتك، أو مدحتها ذمتك.

لذلك دع الأكوان أيها الإنسان، وما ذكرته لك هنا هو الذى أشار إليه صاحب العلم النفيس الشريف السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه بقوله: «وتجل لى يا إلهى بالعظمة الإلهية التى لا تبقى ولا تذر للمتجلى عليه بها من جميع وجوهه وحيثياته وادراكاته كلها مشهودا غير الله».

وهذا التجلى لا يحصل إلا لمن ودع الأكوان، ومحيت عنه رعونات التلوين، وتغلب على الأوان، لا لمن قتله الوقت بسيفه، وأرهقه الهوى بجيشه.

واعلم يا أخا الزهد والورع، أن فى أحزابنا غوالى الجواهر فلها لا تدع، واجعلها سراج ظلامك، وحلية كلامك، فما أسرعها لجذب قلبك، واشعال حبك، فهى التى بأسرارها تكشف لك عن حقيقة الأكوان الخالية الثابتة الزائلة الحادثة المتجددة الصامتة الناطقة، وعن

الرياح المرسلة والسحب الهاطلة والبحار الزاخرة، وهى التى تعرب لك عن الطيور إذا غردت، وعن الأسد إذا زأرت، وعن البحار إذا اضطربت، وعن الكواكب إذا تحركت وشع ضوؤها، وعن النهار إذا أقبل عليك بآيته، وعن الليل إذا أدبر وأقبل، وعن روحك وخواصها، وعن نفسك وأحوالها، فتجلى عظمة الألوهية فيه ضياءات تمحو عن لوح نفسك آثار صور الكون، فمن لم تمح عنه صور آثاره لم ينغمس فى أنواره، فوجوه روحك وحيثياتها وإدراكاتها وكلياتها يحيطها تجلى عظمة الألوهية بسور ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ (١٨).

فأينما تولوا بوجوه أرواحكم وحيثياتها وإدراكاتها بعد فناء الأكوان فثم وجه الله تعالى عند تجلى عظمة الألوهية، فهناك مشاهدة وجه من ليس كمثله شىء، عند فنائك لكل شىء، وغيبتك عن كل شىء «دع الأكوان وقم غسقا» لمشاهدتك لمن ليس كمثله شىء.

ابجدية التصوف

وقد هيأت روحك لتسبح فى بحر سبوحك، لتتلقى:

علم (ألف) الأحدية التى غيبتها عمن سواه.

وعلم (باء) البقاء لتكون باقية بالباقى «بك أبقنا».

وعلم (تاء) التوجه لتكون متوجهة إلى وجه واحد من جميع الوجوه.

وعلم (ثاء) ثواب أهل العبودية بالاتباع المحمدى منزلة منزلة.

---

(١٨) البقرة: ١١٥.

وعلم (جيم) جمال النور المحمدى عند الاجتماع الأعظم، بالنبى الأكرم، صلى الله عليه وآله وسلم.

وعلم (حاء) حياتك الطيبة بإيمانك وعملك الصالح ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾ (١٩).

وعلم خاء خوفك من جلال ربك عند قربك ﴿يدعون ربهم خوفا وطمعا﴾ (٢٠).

وعلم (دال) دنوك من حظيرة القدس الأعلى، حين سجودك وقولك: «سبحان ربى الأعلى».

وعلم (ذال) ذكائك عند اتصال روحك بأزكى الخليقة، لتتنزل على قلبك الرقيقة من فيض فيضان علوم الحقيقة.

وعلم (راء) رحمة ربك التى تجعلك رحمة للمؤمنين.

وعلم (زاى) زكاة نفسك وفلاحها ﴿قد أفلح من زكاها﴾ (٢١).

وعلم (سين) سعادتها الأبدية قال تعالى: ﴿وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها﴾ (٢٢).

وعلم (شين) شكرها على نعم ربها لتحظى بزيادة قربها، قال تعالى: ﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ (٢٣).

وعلم (صاد) صدقها فى معاملة ربها، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين

---

(١٩) النحل: ٩٧. (٢٠) السجدة: ١٦.
(٢١) الشمس: ٩. (٢٢) هود: ١٠٨.
(٢٣) إبراهيم: ٧.

آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ (٢٤).

وعلم (ضاد) ضياء قلبها بنور ربها عند الطمأنينة بذكره، قال تعالى: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (٢٥).

وعلم (طاء) طهر ربها من رجسها لتحظى بعالم قدسها، قال تعالى: ﴿ولكن الله يزكى من يشاء﴾ (٢٦).

وعلم (ظاء) ظفرها على عدوها لاعتمادها على ربها، قال تعالى: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ (٢٧).

وعلم (عين) علمها باكرام ربها الأكرم، قال تعالى: ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (٢٨).

وعلم (غين) غيرتها على دينها؛ لتنال الغاية القصوى فى الاتباع المحمدى، قال تعالى: ﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة﴾ (٢٩).

وعلم (فاء) فلاحها، فى عالم تزكيتها، قال تعالى: ﴿قد أفلح من زكاها﴾ (٣٠).

وعلم (قاف) قربها، فى عالم حُبها عند مشاهدة حِبها، قال تعالى: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ (٣١).

---

(٢٤) التوبة: ١١٩. (٢٥) الرعد: ٢٨. (٢٦) النور: ٢١.
(٢٧) غافر: ٥١. (٢٨) العلق: ٥. (٢٩) الأحزاب: ٢١.
(٣٠) الشمس: ٩. (٣١) سورق ق: ١٦.

وعلم (كاف) كفايتها شر غوايتها وشر أعدائها. قال تعالى: ﴿فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾ (٣٢).

وعلم(لام) لومها لنفسها من هيبة ربها، قال تعالى: ﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ (٣٣).

وعلم (ميم) موتها قبل أن تموت لتحيا بالحياة الملكية. قال تعالى: ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ (٣٤).

وعلم (نون) نورها بنور ربها الذى هو نور السموات والأرض. قال تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ (٣٥).

وعلم (هاء) هدايتها لسبل ربها بإذن ربها. قال تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ (٣٦).

وعلم (واو) ولاية ربها لها فى عالم النور والبهاء. قال تعالى: ﴿الله ولى الذين آمنوا﴾ (٣٧).

وعلم (لا) من لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

وعلم (ياء) يسرها، قال تعالى: ﴿فسنيسره لليسرى﴾ (٣٨).

فهذه تسعة وعشرون علما التسعة بمنزلة التسعة أشهر التى يتربى بها الجسد فى البطن، والعشرون بمنزلة العامين ﴿لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ (٣٩)، فإذا أتم الرضاعة لزمته القناعة، وصحبته الطاعة،

(٣٢) البقرة: ١٣٧.
(٣٣) القيامة: ٢.
(٣٤) الأنبياء: ٢٠.
(٣٥) النور: ٣٥.
(٣٦) العنكبوت: ٦٩.
(٣٧) البقرة: ٢٥٧.
(٣٨) الليل: ٧.
(٣٩) البقرة: ٢٣٣.

فالقناعة تورث الزهد، والطاعة تورث التقوى.

(فزاى) الزهد زكاة، (وهاؤه) هداية، (وداله) دلالة، فيلازم الزكاة وهى طهارة الظاهر والباطن، ويلازم الهداية لنفسه وللناس، ويلازم الدلالة على الله فيدل نفسه وغيره على الله.

(وتاء) التقوى توكل، (وقافها) قرب، (وواوه) ورع، (وياؤها) يقين، فيحصل على القناعة والطاعة والتقوى والزهد والدلالة والتوكل والقرب والورع واليقين.

فهذه التسعة تضاف إلى تسعة وعشرين فيكون العدد ثمانية وثلاثين ويضاف إليها الإسلام والإيمان تبلغ أربعين بمنزلة أربعين ليلة التى هى الميقات ﴿فتم ميقات ربه أربعين ليلة﴾ (٤٠).

وبعد ذلك يكون قد تهيأ للمكالمة الإلهية التى أشار إليها السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه بقوله: «غاية مكالمتك».

وتلك المكالمة الروحية الذوقية الغيبية هى التى عليها مدار الولاية، وهى من باب خرق العادة مما لا تصل إليه الإشارة، ولا تومىء إليه العبارة، أمرها مفهوم، وسرها مكتوم، وشربها مختوم ﴿ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ (٤١).

قال سلالة بيت النبوة مولانا الشيخ صالح الجعفرى فى ذلك بفضل ربه المالك:

موقف عز عن أكول نؤوم وكسول قد غره الدينار

(٤٠) الأعراف: ١٤٢.
(٤١) المطففين: ٢٦.

ومحب لنفسه وهواها شغلته عما يراد الديار

وقال مولانا العارف بالله تعالى الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه :

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى لما رآك القلب بالتقديس

والروح مسرور بخير مورث وأبحت جسمى من أراد جلوسى

قال سيدى الشفاء مولانا السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه : «وغاية مكالمتك» يعنى وأسألك يا رب غاية مكالمتك، وهى التى بها يعلو النور والبهاء فى حضرة الأنس من وراء عالم الحس، حيث تتلاشى الغايات بغاية المكالمة للذين يريدون وجهه، وقد أرادهم قبل أرادتهم له، وسبقت إليهم منه الحسنى، قال تعالى : ﴿ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾ (٤٢) أى مبعدون عن نار القطيعة فى الدنيا، وعن نار الحميم فى الآخرة، فقد فارقتهم إرادة، وغشيتهم إرادة، شغلتهم عن شواغلهم العبادة، تكاثرت عليهم الآيات، فتزاحمت فى ساحتهم الواردات، تشتاق قلوبهم لحبيبهم إذا اشتاقت القلوب إلى أحبابها، مروا على أهل الجنة فوجدوهم عاكفين على بابها، فقالوا لهم ما أردنا هذا النعيم، ولكن أردنا وجه الكريم، فبشرهم سبحانه بقوله : ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾ (٤٣).

فصبروا أنفسهم، فأمر الحق سيدهم عليه الصلاة والسلام أن يصبر نفسه معهم، فتشرفوا به حيث اتحدت أرادتهم مع أرادته صلى الله عليه

(٤٢) الأنبياء : ١٠١ . (٤٣) القيامة : ٢٢، ٢٣ .

وآله وسلم ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه﴾ (٤٤).

قال صاحب العلم النفيس رضى الله تعالى عنه :

وقال الله عز وجل : ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى * الا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى﴾ (٤٥).

قال مولانا الغوث الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه : استدل السيد رضى الله تعالى عنه بهذه الآيات ليفيدنا بأن الذى يريد بعمله وجه الله تعالى جزاؤه على الله أن يرضيه. لأنه أرضى الله تعالى بالإخلاص بالعمل، فوعده الله تعالى بالرضا فى الجنة، وبالرضا فى الدنيا بجنة المشاهدة بعد الفتح ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ (٤٦).

اعلم أن الفتح بالنصر، وأن النصر بالهداية، وأن الهداية بالجهاد ﴿وجاهدوا فى الله حق جهاده﴾ (٤٧). ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ (٤٨). فإذا وصلت إلى الفتح فتحت لك أبواب جنة المشاهدة الثمانية : جنة المراقبة. وجنة المحاسبة. وجنة المشاهدة. وجنة التجلى. وجنة التلذذ بالذكر. وجنة الوحشة من الغير. وجنة الأنس بالله. وجنة الفناء لما سواه.

قال البوصيرى رحمه الله تعالى :

(٤٤) الكهف : ٢٨ . (٤٥) الليل : ١٩، ٢١ .

(٤٦) النصر : ١ . (٤٧) الحج : ٧٨ .

(٤٨) العنكبوت : ٦٩ .

ودعوا أن تلكمو الدار لكم فادخلوها بسلام آمنينا

قال الله تعالى عن أهل الجنة: ﴿ادخلوها بسلام آمنين﴾ (٤٩)، وقال تعالى: ﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾ (٥٠).

كذا أهل الشهود الذين أماتوا أنفسهم وشهواتها فأحياهم الله، فأمِنوا موت القلوب، لما شربوا من ماء سماء الغيوب، ما تلاشت به عنهم الغفلة والعيوب.

وقال تعالى: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ (٥١). وقال تعالى: ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة﴾ (٥٢).

وقال تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (٥٣). وكما أنه سبحانه وتعالى حفظ القرآن العظيم حفظ مقره ومكانه تكرمة له، قال تعالى: ﴿بل هو قرآن مجيد * في لوح محفوظ﴾ (٥٤). وقال عليه الصلاة والسلام: «فإن النار لا تحرق قلبا وعى القرآن» فبشرى لحفظة القرآن بحفظ الله لهم ولقلوبهم لأجل القرآن.

فهو السور المنيع، والحصن القوى، والصاحب الوفى، ان حفظته حُفظت، وان تلوته أثبت، وأن عملت به نجوت، وان دعوت إليه هديت، وان حكمت به عدلت، وان حكم عليك سعدت بقبول الشهادة لك إن أحسنت العشرة وراعيت الصحبة وقد ست الحكمة.

(٤٩) الحجر: ٤٦.
(٥٠) الدخان: ٥٦.
(٥١) البقرة: ١٤٣.
(٥٢) البقرة: ١٣٨.
(٥٣) الحجر: ٩.
(٥٤) البروج: ٢١، ٢٢.

من جاهد به فقد جاهد، ومن تدبر آياته فقد شاهد، له السلطان القاهر، والحجة البالغة، والآيات الجامعة، إذا جهلت علّمك، وإذا أظلمت نوّرك، وإذا تكاسلت نهّضك، قول فصل يفصل بين الحق والباطل، ويرد ببلاغته كل ملحد ومجادل، ما أكثر ثمار أشجاره لا تنقطع ثمارها كلما دنوت قطفت ﴿إنه لقرآن كريم﴾ (٥٥).

فكما ربيت جسمك بأنواع الثمرات الأرضية، فلا تحرمن روحك من أنواع الثمرات السماوية، فعرج على كل ثمراته لتحيا بها حياة أهل الذكرى.

فإذا تدبرت آياته رأيت حِكَمَهُ عليك تترى، فتحييك كما أحيت الذين من قبلك، قال تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا﴾ (٥٦). وقال تعالى: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾ (٥٧).

اعلم أن للجسد روح الحياة، وللروح روح البينات، فالجسد يحيا بروحه، والروح تحيا بروحها، والحى من جمع بين الروحين، وروح الحياة لا كسب له فيها، وروح القرآن له فيها كسب ولكن الأولى بعد خلق، قال تعالى: ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحى﴾ (٥٨).

والثانية بعد اصطفاء قال تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ (٥٩)، وما أحسن الخلق والاصطفاء إذا اجتمعا.

(٥٥) الواقعة: ٧٧.
(٥٦) الشورى: ٥٢.
(٥٧) الزخرف: ٤٤.
(٥٨) سورة ص: ٧٢.
(٥٩) فاطر: ٣٢.

قال الذى فتح الله تعالى به مغاليق العلم سيدى الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه :

خلق ونفخ الروح فى الإنسان
ثم اصطفاء الحفظ للقرآن
تكريمه تعليمه العلوما
تكليفه ومنحه الفهوما
كى يرتقى سماء أهل القدس
مفارقا خمول أهل الحس
يرقى بآيات الكتاب والسور
رقى أرباب الجهاد والخفر

ولما أرضى سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه بلالا بن رباح الحبشى رضى الله تعالى عنه، رضى الله تعالى عنه كما فى الحديث الوارد.

وقد لقب بالصديق والرفيق والعتيق لأنه أنفق ماله ابتغاء وجه الله الكريم، فنال من الله تعالى الرضا والتكريم، وكان بلال حينما يعذبه الكفار يقول: «أحد أحد» ولما حضرته الوفاة قيل له: نأتى إليك بطبيب؟ وهو يقول:

غدا نلقى الأحبه محمدا وحزبه

وهكذا الأحباب إذا دنت ركائبهم تذكروا أحبابهم، وودوا ذهابهم.

وكانت آخر كلمة قالها سيدى عبد العالى الإدريسى رضى الله تعالى عنه: «الله» ومدها فخرجت روحه الشريفة معها.

وهكذا الأحباب لا يخرجون من الدنيا حتى تغيب عنهم الدنيا بمشاهدة محبوبهم، قلوبهم تشكره، ولسانهم يذكره، قد نسوا جميع الوجوه لتعلقهم بوجه واحد ﴿كل شىء هالك إلا وجهه* له الحكم وإليه ترجعون﴾ (٦٠).

*****

(٦٠) القصص: ٨٨.

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثالث

القاعدة الثالثة: «الرحمة»

قال سيدى أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه:

أن يوطن قلبه على الرحمة لجميع المسلمين كبيرهم وصغيرهم، ويعطيهم حق الإسلام من التعظيم والتوقير، فإن رسخ فى هذه القاعدة واستقام فيها قلبه أفاض الله سبحانه وتعالى على سائر جسده أنوار الرحمة الإلهية، وأذاقه حلاوتها فنال من الإرث النبوى حظا وافرا عظيما من قول الله عز وجل: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ وهذا معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن لله عز وجل ثلاث حرمات، فمن حفظهن حفظ الله عليه أمر دينه ودنياه، ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله له شيئا: حرمة الإسلام وحرمتى وحرمة رحمى» وفى هذا المعنى قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم لأبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه «لا تحقرن أحدا من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير».

قال صاحب العلم النفيس مولاى الشريف السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه:

«أن يوطن قلبه على الرحمة لجميع المسلمين كبيرهم وصغيرهم ويعطيهم حق الإسلام من التعظيم والتوقير».

قال صاحب العلم الثرى سيدى صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه: وقد أشار النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذه المعانى بقوله: «ليس منا من لم يوقر كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه»(١). أى ليس على سنتنا السمحاء.

ومن يكون كذلك فله حظ وافر فى الإرث المحمدى، قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (٢)، وقال عليه الصلاة والسلام: «إنما بعثت رحمة» (٣).

فمن أراد الرحمة لنفسه فليرحم غيره، قال عليه الصلاة والسلام: «من لا يرحم لا يرحم» (٤).

---

(١) الحديث روى نحوه أحمد بن حنبل فى مسنده والحاكم فى المستدرك عن عبادة ابن الصامت. (٢) الأنبياء: ١٠٧.

(٣) تمام الحديث: «ولم أبعث عذابا» وهو مروى عن أبى هريرة. ذكره البخارى فى التاريخ.

(٤) تمام الحديث: «ومن لا يغفر لا يغفر له» وهو مروى عن جرير. ذكره أحمد بن حنبل فى مسنده.

وقد رويت هذا الحديث المسلسل بالأولية عن شيخى الشيخ على محمد إمام مسجد دنقلا المتصل إلى الشريف السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه إلى منتهى السند، وكان ذلك فى عام ١٣٤٥ هـ، وأيضا قد تلقيته بإسناد آخر عن السيد عبد الحى الكتانى بالمسجد الحسينى بمصر، وذلك فى عام ١٣٦٠ هـ.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء». ومن جعل قلبه رحمة للمؤمنين فقد استجلب الرحمة الإلهية إليه، وفتح أبوابها نحوه، فينال من الإرث المحمدى على قدر تمكنه فى هذا المقام.

قال تعالى فى وصفه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿**بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾ (٥)، وعلى قدر الإرث يكون الاتصال بالمورث، وعلى قدر الرحمة تكون المنفعة للعباد، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أحب الخلق إلى الله تعالى أنفعهم لعباده» فتدخله الرحمة فى مظهر اسمه تعالى «النافع»، فلا يتعرض لضرر المؤمنين بوجه من الوجوه، بل يتسبب فى جلب النفع إليهم.

قال عليه الصلاة والسلام: «من استطاع منكم أن ينفع أخاه

(٥) التوبة: ١٢٨.

فليفعل» (٦)، وقال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه: «الولى فى زماننا هذا الذى ينتفع به أعداؤه يؤذونه ويدعو لهم بالخير»، وهذه أيضا فى التراث المحمدى.

قال البرعى رحمه الله تعالى:

ودعوة أحمد رب اهد قومى فهم لا يعلمون كما علمنا

والعفو والتجاوز ومقابلة السيئة بالحسنة إنما يكون بسبب الرحمة.

وكل من كان كذلك ينطبق عليه قول سيدى الشفاء صاحب العلم النفيس مولاى الشريف السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه فى أحزابه:

«ثم تصب يا إلهى على ذاتى فيوضات بحر محيط الرحمة الإلهية، حتى أكون كلى رحمة إلهية فى جميع عوالمك الإطلاقية والتقييدية، ويكون لسان رحمة ذاتى من جميع جهاتى يتلو فى جميع جهات الخلق آية الرحمة الإلهية المطلقة ﴿**ورحمتى وسعت كل شىء**﴾ (٧).

قال صاحب العلم الثرى سيدى صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه: وسبب انصباب فيوضات بحر الرحمة الذاتية على ذاتك هو

(٦) الحديث مروى عن جابر بلفظ: «من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه» رواه مسلم وأحمد بن حنبل وابن ماجه.

(٧) الأعراف: ١٥٦، وتمام الآية: ﴿فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الذكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾.

إعراضك عن لذاتك، وتخليها عن أنا والأنانية، بتحلى إخلاصها بصدق النية، وانغماسها فى بحر الوحدتين، بحر عين الوحدة، وبحر ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ (٨)، فرحمت النفس نفسها لما رحمت إخوتها، فصارت تتلو فى حضرة الإطلاق آية الرحمة، فنالت جزاء رحمتها بانصباب الفيوضات من بحر الرحمات.

فاهتزت أرض جسمها وربت، فصارت كلها رحمة إلهية وأينعت فى جميع العوالم: الإطلاقية مع أهل الإطلاق، والتقييدية مع أهل التقييد، ثم يوفق لسان رحمة ذاتى من جميع جهات روحى يتلو بلسان روحى فى جميع جهات الخلق آية الرحمة الإلهية المطلقة: ﴿ورحمتى وسعت كل شىء﴾ التى عمت الإيجاد بعد العدم والرزق والعافية والذرية والآجال وتأخير العقوبات، كل ذلك لم يدخل فى التقييد.

وقد جهل إبليس فظن أنه يدخل فى الرحمة، واحتج بهذه الآية على بعض العارفين، وقد جهل إبليس أن الرحمة مطلقة ومقيدة، فالمطلقة عمت كل شىء حتى الكافر، والخاصة فى قوله تعالى: ﴿فسأكتبها﴾.

وقد امتن الله على الخلق مؤمنهم وكافرهم بقوله: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا﴾ (٩) وغير ذلك فى الآيات، وقد أشار إلى المقيدة بقوله تعالى: ﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾ (١٠).

(٨) الحجرات: ١٠ (٩) الروم: ٢١. (١٠) الأحزاب: ٤٣.

فمن ذهب إلى بلاد الكفار ليدعوهم إلى الإسلام، وذهب إلى مجالس الفساق ليدعوهم إلى التوبة، وإلى بلاد الجهال ليعلمهم أمور دينهم، وإلى العاملين المؤمنين ليذكرهم، فقد أخذ بالرحمتين وتخلق بالخلتين، قال عليه الصلاة والسلام: «تخلقوا بأخلاق الله» يعنى التى يجوز للخلق أن يتخلقوا بها، كالرحمة والعفو والكرم والرأفة والعلم والعدل والإحسان وغير ذلك.

﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ (١١)، ﴿وليعفوا وليصفحوا﴾ (١٢).

أخرج صاحب هذه القواعد فى رسالته المسماة «روح السنة، وروح النفوس المطمئنة» هذه الأحاديث:

وربما تعرضت لشرح بعض كلماتها على وفق الإلهام والمدد الإلهى فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

فأقول بالسند المتصل إلى السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«والذى نفسى بيده لا يدخل الجنة إلا رحيم. قالوا: كلنا رحيم، قال: لا... حتى ترحم العامة».

قلت: وهذا ما أشرت به إليك آنفا من الرحمة المطلقة التى يكون

(١١) النحل: ٩٠. (١٢) النور: ٢٢.

صاحبها كالبحر يروى كل من يردهُ ، قال الشاعر :

كـن راحمـــــا لجميع الخلـق كلهـم

وانظـــر إليهم بعيـن اللطف والشفقـــة

وقِّـر كبيـرهمـــو وارحم صغيـرهمـــو

وراع فـى كل خلـق حـق مـن خلقـــــه

وقال سيدى صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه :

يـا مـن يـريـد جنـان الخلـد للنعم

كـن راحمـــــا لجميع الخلـق كلهـم

فـالله يـرحـم ذا القلب الـرحيـم ومن

يـــرى الأخـــوة فـى قـــاص وذى رحم

أخـــوة الـــدين أقـــوى من قـــرابتنـــا

الـــدين يجمع بيـن العـــرب والعجم

والجنـة جنتان : معجلـة وهى جنة المشـاهدة الإلهيـة فى الدنيـا ، ويكون التلذذ فيهـا بذكر الله تعالى كما يتلـذذ أهل الجنة بنعيم الجنة ، ولذلك كان صلى الله عليه وآله وسلم تقر عينه بالصلاة ، وللعارفين على قـدر درجاتهم فى الإرث المحمـدى ، وجنة المشـاهدة فى الـدنيا لهـا أبواب كثيرة من أجلها : أن يـوطن قلبه على الرحمة لجميع المسلمين ،

فإن كان من أربـاب الترقى الروحى وصلت به رحمتـه إلى جمعية عيون الحقائق الرحمـوتية صلى الله عليه وآله وسلم فينـال فى ذلك على قدر أهليته ، ثـم يتلو لسان رحمـة ذاته من جميع جهـاته فى جميـع جهات الخلق آية الـرحمة الإلهية المطلقة ، وبلسـانه الذى يتكلم بـه فى مقام إجابـة لسانه إذا تـرجم عن جنانـه ، وعند ذلك تقول الـروح للسان : الله حسبك : ﴿أنا آتيك بـه قبل أن يرتـد إليك طرفك﴾ (١٣) فيستطيع أن يتلـو من جميع جهـاتـه فى جميع جهـات الخلق على طـريق التـراث المحمدى لمن على جميع الخلق عـلا وسما المشار إلى مقـامه صلى الله عليه وآلـه وسلم بقول ربـه تعالى : ﴿ومـا رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ (١٤) .

واعلم يـا أخـانا فى الله تعـالى أن مـدارك الإدراك تشبـه دورة حركـة الأفلاك . فنظم مـدار حركة إدراكك ، بعـد تنظيم حركـة دورة أفلاكك ، حتى لا ينبغى لشمس حقيقتك أن تـدرك قمـر شريعتك فيقع خسـوف التخليط ، ولا لليل غيـب سـرك أن يسبق نهـار روحك فى الـوجـد والشهود .

فإذا انتظمت أفلاكـك ظهرت أنوارك ، فتكـون ذاتك كلها نـورا ذاتيا صرفا من جميع الوجوه ، فتجلس روحـك على منبر قدسك منورة بنور

(١٣) النمل : ٤٠ . (١٤) الأنفال : ١٤ .

ربك، وقد أشرقت شمس نهارك على أرض جسمك، فتنزلت الرحمات على قلبك، فتوطن على الرحمة لجميع المسلمين، وصرت رحمة بين عباد الله، ملحوظا بعين الله، مرحوما برحمة الله **﴿سيجزيهم وصفهم﴾** (١٥). **﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾** (١٦).

وبالسند المتصل إلى الشريف مولاى السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه قال: وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: **«يقول الله عز وجل: ان كنتم تحبون رحمتى فارحموا خلقى»**.

قال القطب الكبير سيدى صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه: انظر كيف جعل ربك وصول رحمته تعالى إليك متوقفا على رحمتك لخلقه؟! فإذا رحمت الخلق فإنما أنت فى الحقيقة ترحم نفسك، وإذا حرمتهم رحمتك فقد حرمت نفسك، كالذى يسقى الأشجار بالماء لتثمر فينتفع بثمرها، فهو فى الظاهر يسقى الأشجار، وفى الحقيقة إنما هو يسقى نفسه، وإذا ترك سقيها فقد ترك مصلحة نفسه ورحمته إياها.

وبالسند المتصل إلى سيدى الشريف مولاى السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه أنه قال: وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: **«ليس منا من لم يبجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه»** ايش تبجيل الكبير؟ احترامه وتوقيره لكبر سنه، وذلك من عادة الأشراف والعرب إلى يومنا هذا، ورحمة الصغير: الشفقة والعطف عليه لضعفه

(١٥) الأنعام: ١٣٩. (١٦) فصلت: ٤٦.

وصغر سنه وعقله، ويعرف للعالم حقه من الإرث المحمدى، قال عليه الصلاة والسلام: **«العلماء ورثة الأنبياء»**.

وحق الأفضلية، قال عليه الصلاة والسلام: **«فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم»** (١٧).

فمعرفة حق العالم واجبة على كل مسلم، ويجب احترامه لأجل الخلافة، قال عليه الصلاة والسلام: **«رحم الله خلفائى، قالوا: ومن خلفاؤك يا رسول الله؟ قال: الذين يأتون من بعدى يبلغون الناس سنتى»**.

والأمة بخير ما دام العلماء فيها، والأمة بخير ما وقرت علماءها واستمعت لأقوالهم وعملت بها، قال البوصيرى رحمه الله تعالى:

كيف نخشى الضلال من بعدك * وفينا وارثو نور هديك العلماء

وبالسند المتصل إلى صاحب العلم النفيس رضى الله تعالى عنه أنه قال: وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«من سره أن يقيه الله من فور جهنم يوم القيامة ويجعله فى ظله فلا يكن بالمؤمنين غليظا وليكن بهم رحيما».

قال كنز العطايا الإلهية والأسرار الربانية سيدى صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه: ايش؟ لأن الجزاء من جنس العمل، فالذى يرحم المؤمنين فى الدنيا يرحمه الله تعالى بالنجاة من عذاب جهنم ويظله تحت العرش يوم القيامة.

(١٧) رواه الترمذى عن أبى أمامة.

وبالسند المتصل إلى صاحب العلم النفيس أنه قال: وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «ان العبد ليقف بين يدى الله تعالى فيطيل الله وقوفه حتى يصيبه من ذلك كرب شديد فيقول: يا رب ارحمنى اليوم، فيقول: هل رحمت شيئا من خلقى من أجلى فأرحمك؟ هات ولو عصفورا».

قال سيدى الغوث العارف بالله تعالى الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه: ايش؟ كن رحيما بخلق ربك يرحمك يوم لا ينفعك مال ولا بنون، واعلم أن الرحمة تنفعك ولو لحيوان أو طير أو بهيمة، لأن الله تعالى خلقهم مثل ما خلقك، قال تعالى: ﴿وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾ (١٨).

قال صاحب العلم النفيس رضى الله تعالى عنه:

ويعطيهم حق الإسلام من التعظيم والتوقير، فإن رسخ فى هذه القاعدة واستقام فيها قلبه أفاض الله سبحانه وتعالى على سائر جسده أنوار الرحمة الإلهية وأذاقه حلاوتها، فنال من الإرث النبوى حظا وافرا عظيما من قول الله عز وجل: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾(١٩). وهذا معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ان لله ثلاث حرمات فمن حفظهن حفظ الله عليه أمر دينه ودنياه،

(١٨) الأنعام: ٣٨. (١٩) الأنبياء: ١٠٧.

ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله له شيئا: حرمة الإسلام وحرمتى وحرمة رحمى».

وفى هذا المعنى قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم لأبى بكر رضى الله تعالى عنه: «لا تحقرن أحدا من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير».

قال سيدنا ومولانا العارف بالله تعالى الشيخ صالح الجعفرى عفا الله تعالى عنه: الحرمات: الحقوق، فمعنى حرمة الإسلام: أى ما يطلبه الإسلام من المسلم، وهى أمور كثيرة لا يكمل الإسلام إلا بها كقوله صلى الله عليه وآله سلم: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» (٢٠). وكقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «المسلم أخو المسلم» (٢١). وكقوله صلى الله عليه وسلم: « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن». وكقوله صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله» (٢٢). وكقوله تعالى: ﴿بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾ (٢٣).

(٢٠) الحديث رواه أحمد بن حنبل وغيره عن أبى هريرة.

(٢١) رواه أبو داود عن سويد بن حنظلة.

(٢٢) رواه أبو هريرة وهو متفق عليه من البخارى ومسلم ورواهما غيرهما.

(٢٣) الحجرات: ١١.

وبالجملة: فمن راعى ما وجب فى الإسلام ففعل، وما حرم فترك، فقد عظم حرمة الإسلام، ويدخل فى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «احفظ الله يحفظك». ومن لم يكن كذلك فلم يعظم حرمة الإسلام وحينئذ فمن أضاع فجزاؤه الضياع.

وفى الحديث: «تدعو الصلاة على من أضاع وقتها فتقول: ضيعك الله كما ضيعتنى».

وحرمة النبى صلى الله عليه وآله وسلم: حقه الذى أوجبه الله تعالى علينا، كطاعته فى قوله وفعله، واحترامه وتوقيره وتكريمه، والاعتراف بفضله وشفاعته، وجاهه ورفع ذكره وعلو درجته، وأنه موصوف منذ خلقه الله تعالى بالزيادة فى الإيمان والعلوم والأنوار والدرجات والبركات والأسرار والنفحات والخيرات.

وكذلك يكون بعد أن لحق بالرفيق الأعلى أعلى مقاما وأجل اكراما وأوسع علما وإدراكا وكشفا وشهودا وسماعا وردا للسلام، ولا يجوز لمؤمن أن يعتقد فيه غير ذلك، أو أنه قد مات كموت الخلق، بل أحياه الله تعالى بعد موته بحياة تفوق حياة النبيين والمرسلين عليه وعليهم الصلاة والسلام، وحياة الشهداء، وحياة الملائكة الكرام، وحياة الأحياء من أهل الدنيا.

ويجب عليك أن تحبه صلى الله عليه وآله وسلم أكثر من نفسك، وأن تصلى وتسلم عليه، وأن تزور روضته الشريفة لتحظى برد سلامه

صلى الله عليه وآله وسلم عليك، وتحصل لك بركته صلى الله عليه وآله وسلم وبركة نظره إليك ودعائه لك.

وقد وردت أحاديث كثيرة فى فضل أهل بيت النبوة رضى الله تعالى عنهم. ومن أعظم الصلة لهم زيارتهم بعد مماتهم، والتسليم عليهم والترضى عنهم.

«لا تحقرن أحدا من المسلمين» احتقار المسلم هو الازدراء به والتكبر عليه، قال عليه الصلاة والسلام: «بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم».

وقد نادى الله تعالى فى القرآن عباده بما يدل على الأخوة والمساواة فقال: يا عبادى. يا بنى آدم. يا أيها الناس. يا أيها الذين آمنوا.

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الرابع

القاعدة الرابعة : مكارم الأخـــلاق

قال سيدى أحمد بن ادريس رضى الله تعالى عنه :

مكـارم الأخلاق التى بعث رسـول الله صلى الله عليه وآلـه سلم لتمامها ، وهو قـول النبى صلى الله عليه وآله وسلم «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» وهذه القاعدة هى زبدة الدين ، وحقيقتهـا أن يكون العبـد هينا لينـا مع أهل بيته وعبـده ومع جميع الخلق ، قـال رسـول الله صلى الله عليـه وآلـه وسلم : «أهل الجنة كل هين لين سهل قريب ، وأهل النار كل شديد قبعثرى» قالـوا : وما قبعثرى يارسول الله؟ قـال : الشديد على الأهل ، الشديد على الصاحب ، الشديد على العشيرة .

وقال مولانـا العظيم : (وقولوا للنـاس حسنا) أى لا قبحا ، وقـال عـز وجل : (وقل لعبـادى يقـولـوا التى هى أحسن) والأحسن هو الذى جمع الحسن وزيادة .

وبالجملة فـالذى تحب أن يواجهك الناس بـه من الكلام الطيب والقـول الحسن والفعل الجميل فافعلـه مع خلق الله

تعـالى ، وما تكـره أن يعـاملك العبـاد به من الكـلام الخبيث والقول القبيـح والفعل الكريـه فاتركـه ، فإن الله يعامـل العبد بـوصفه وخلقـه الذى يعـامل الخلق به ، فإن المجـازاة على الوصف بـالوصف (سيجـزيهم وصفهم) (جزاء وفـاقا) فمن كان للخلق جنة ورحمة وظلا ظليلا يستريحون فيه كان الله له كذلك ، فمـن أكرم عبدا لمـراعاة سيـده فإنما أكـرم السيد ، وكذلك جاء فى الحديث عن الله عز وجل أنه يقول للعبد يوم القيـامـــة : جعت فلم تطعمنى واستسقيتك فلم تسقنى ، ومرضت فلم تعـدنى . فيقول العبـد : كيف تجوع وأنت رب العـــالمين؟ وكيف تمـــرض وأنـت رب العـــالمين؟ وكيف تستسقى وأنت رب العـالمين؟! فيقـول لـه سبحانـه وتعـالى مفسرا لذلـك : أما إنه مرض عبدى فـلان فلوعدته لـوجدتنى عنـده ، وجـاع عبـدى فلان ، فلـو أطعمتـه لـوجـدت ذلك عندى ، واستسقاك عبدى فلان ، أمـا إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى . مفسرا سبحانه نفسه فى قوله : جعت ومرضت واستسقيت بقولـه : جاع عبدى فلان ، ومـرض عبدى فلان ، واستسقاك عبدى فـلان . فمعاملة العبد لمـلاحظة سيده هى معاملة السيد بلا شك .

فمن رسخ قدمه فى هذا المقام صارت معاملته مع الحق جل جلاله فى كل شىء فلا يراقب غير الله تعالى .

ومجمع مكارم الأخلاق مع الله تعالى ومع عباده قول النبى ﷺ «أكرموا الله أن يرى منكم ما نهاكم عنه» وهو أن لا يراك سبحانه حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك .

والأمر الذى يبعث العبد على الحياء من الله تعالى هو أن يعلم علم حضور أن الله على كل شىء رقيب، وعلى كل شىء شهيد، وهو قوله تعالى : (واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه) فإذا شغل العبد قلبه بهذه المراقبة واستعملها حتى اعتادها وألفها لزمه الحياء من الله تعالى أن يقول قولا أو يفعل فعلا لا يرضاه الله ولا يليق بجلاله وهو حاضر القلب (وهو معكم أينما كنتم) فإن الله تعالى معه وناظر إليه .

فإن العبد إذا أراد أن يزنى مثلا أو يسرق والناس ناظرون إليه لا يقدر أن يقدم على ذلك مع علمه بنظر الناس إليه، فإنه يستقبح ذلك من نفسه ويستخبثه، فإذا كان الحال هكذا مع المخلوق الذى لا يملك ضرا ولا نفعا، والحامل له على

ذلك كله مخافة أن يسقط من أعين الناس ويحط قدره عندهم، ولا شك أنه إذا كان حاضر القلب عند الشروع فى الفعل الذى لا يرضاه الله تعالى ترك ذلك الفعل قطعا، وهذا معنى قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الإحسان «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» .

فمن كان بهذه الحالة لزمه أن يحسن تلك العبادة ويتقنها على قدر قوة علمه أن الله ناظر إليه . وبالله التوفيق .

وصلى الله على مولانا محمد وآله وسلم فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله .

*****

قال بحر العلوم الغوالى والد السيد عبد العالى الشريف مولاى السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه :

«مكارم الأخلاق التى بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتمامها وهو قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم : «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» .

قال بحر العلوم اللدنية سيدى صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه : ايش؟ اعلم أيها الإنسان الذى أنس بأورادنا ، وصار من أولادنا ، وروحه من روحنا ودنا وملأ قلبه بودنا ، وان تناءت بلادنا ، أن لهذا الحديث معنى أعز معنى وهو أنه عليه الصلاة والسلام أول من نبأ عن الحق سبحانه فهوأساس مكارم الأخلاق بنبوته والمتمم لها ببعثته .

وهو أول من عرف الحق بالحق ، وأول مظهر للقدرة والارادة ، فهو أول المفاض عليهم وآخر الموحى إليهم .

فهو صلى الله عليه ، وآله وسلم فاتحة الموجودات ، ومجمع بحرى الحقائق الأزليات والأبديات ، ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ (٢٧) . النبوات والولايات فى أزليات ﴿ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم﴾ (٢٨) ، وفى أبديات : ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ (٢٩) .

فهو صلى الله عليه وآله وسلم متمم النبوات فى عالم

(٢٧) الرحمن : ٢٢ . (٢٨) آل عمران : ٨١ .
(٢٩) التوبة : ١٢٨ .

﴿لتؤمنن به ولتنصرنه﴾ (٣٠) ومتمم مكارم الأخلاق فى عالم ﴿قم فأنذر * وربك فكبر﴾ (٣١) .

وفى عالم الاتباع المحمدى منزلة منزلة على سبيل ﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة﴾ (٣٢) .

مكارم الأخلاق

فجاء صلى الله عليه وآله وسلم بمكارم الأخلاق التى أبدلت الظلمة نورا ، والشرك توحيدا ، وحولت الجهالة علما ، والعداوة صلحا ، فصار الناس فى عدالة بعد ظلم . وقوة بعد ضعف . وعلم بعد جهل . وكرم بعد بخل . وتواصل بعد تقاطع . وشجاعة بعد جبن . وجهاد بعد استسلام . وعزة بعد ذلة . وتعاون بعد تخاذل . واجتماع بعد افتراق . وائتلاف بعد تنافر . وشعور بعد لا شعور . وإحساس بعد لا إحساس . وحياة بعد موت . ونور بعد ظلمة ﴿أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس﴾ (٣٣) .

فغرس صلى الله عليه وآله وسلم فى قلوب المؤمنين شجرة طيبة ثمارها التواضع والسخاء والعفة والوفاء ، يتواضع أميرهم لفقيرهم ، ويوقر صغيرهم كبيرهم ، ويرحم كبيرهم صغيرهم ، الملهوف بينهم يغاث ، والمريض يعاد ، والميت تشيع جنازته ، والسائل لا ينهر ، واليتيم لا يقهر ، والأمانة لا تضيع .

والعالم يسمع قوله ويعرف حقه ، والقرآن يكتب ، والعلم يطلب ، والحقوق موفورة ، والمساجد معمورة ، هاجرين قيل وقال ، وكثرة

(٣٠) آل عمران : ٨١ . (٣١) المدثر : ٢ ، ٣ .
(٣٢) الأحزاب : ٢١ . (٣٣) الأنعام : ١٢٢ .

السؤال، وإضاعة المال، أمرهم شورى بينهم، ولم يختل فى شعوبهم أمنهم، كل ذلك من مكارم الأخلاق التى جاء بها صلى الله عليه وآله وسلم.

قال سيدنا ومولانا العارف بالله تعالى الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه ونفعنا بعلومه آمين:

بعث النبى متمما ومعمما ... لمكارم الأخلاق فى الآفاق

قد جاء بالدين القويم مبدلا ... شرك الضلال بشرعة الخلاق

فانهض إلى تلك المكارم يا فتى ... تنجو بها من ربقة ووثاق

قال مؤسس الطريقة الجعفرية صاحب درس الجمعة الشهير بالأزهر الشريف سيدنا ومولانا الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه:

لمكارم الأخلاق قد ... بعث النبى متمما

أكرم به من مرشد ... للعالمين معلما

فإذا أردت رضاءه ... صل عليه وسلما

واعلم بأن من أجل أخلاقك. دخولك فى حضرة خلاقك. وسبحك فى عالم المكارم والتكريم. حتى يضىء بذكرك الليل البهيم. جادا فى أمورك على المنهاج القويم. جانيا من غرس المكارم النبوية ثمارها. رادا من نفسك شيطانها وعارها. جالسا على كرسى «واجمع

(٣٤) الإسراء: ٨١.

بينى وبينه» زائرا كالسبع، رافعا لراياتك السبع.، متقلدا سيف ﴿جاء الحق وزهق الباطل﴾ (٣٤)، متوكلا على ربك فلا يتعرض لك فى طريقك إنس ولا جن إلا أعدمته بسيفك. متلقيا درر معانى جواهر نفائس غوالى العلوم والمعلومات، من فيض من طارت منه رشاشات فاقتسمتها بحكم المشيئة الإلهية جميع المبدعات، ناظرا بعينى قلبك إلى مقرقرار الفهوم والقراءات، الذى من لوح كنهه قرأ المقربون كلهم حقية التجليات، شجرة الأصل النورانية فلا نور إلا منها استنار سناه، ولمعة القبضة الرحمانية التى بنضرتها تنضر كل نضر مرآه، معدن الأسرار الربانية فلا سر إلا من سره مسراه. فتعرض لذلك السر بكثرة الصلاة والسلام على سر الخلوة الإلهية ليلة الاسراء، لعل قلبك مما فيه يبرا. وتتزاحم على بابه نفائس الدرر الغوالى التى عزت على غير عزيز بربه. مكين فى قربه. مديم لحزبه.

قال سيدى صاحب المقال العالى أبو الشريف عبد العالى سيدى أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه:

«وهذه القاعدة هى زبدة الدين»:

قال سيدى الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه: يعنى قاعدة مكارم الأخلاق لأن العمل بالدين ينتج مكارم الأخلاق. فهى زبدته وثمرته، وبالتجارب: الرجل التقى يوفق لمكارم الأخلاق، وغيره يظهر منه سىء الأخلاق.

قال سليل بيت العلم والتُقى سيدى صالح الجعفرى :

يا من تريد مكارم الأخلاق لا تطلب مكارمها بغير تـــدين

فالدين يثمرها وأصل ثمارها عرج على الدين القويم البين

ثم شرع السيد رضى الله تعالى عنه فى بيان حقيقة مكارم الأخلاق فقال :

«وحقيقتها أن يكون العبد هينا لينا مع أهل بيته وعبده ومع جميع الخلق».

قال سيدى الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه : «أل» فى العبد للكمال وهو العبد الكامل الذى وصفه السيد أحمد رضى الله تعالى عنه فى أحزابه بقوله : «واجعلنى يا رب لك عبدا محضا عبودية خالصة لا رائحة ربوبية فيها على أحد من خلقك».

وإذا كان كذلك كان هينا لينا متواضعا فى غير ضياع حق ولا انتصار لباطل ولا جبن أمام ظالم.

والحديث : «وخالق الناس بخلق حسن» والخلق الحسن يشمل القول والفعل، فمن عامل الخَلق بالخُلق الحسن فقد عاملهم بمكارم الأخلاق.

قال بحر الكمالات الربانية شيخ الطريقة الجعفرية سيدى الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه :

كن هينا لينا للعالمين ولا

تكثر مخاصمة الإخوان كالخصم

واجعل فؤادك موفورا برحمته

للمؤمنين وأهل البيت والرحم

من عاش فظا غليظ القلب يبغضه

الأقربون ومن بالحل والحرم

كالميرغنى فكن بحرا لوارده

قد أكرم الشيخ إبن إدريس بالنعم

وفى هذا البيت الأخير إشارة إلى ما روى لى عن السيد مصطفى الإدريسى رضى الله تعالى عنه : قال السيد محمد عثمان الميرغنى رضى الله تعالى عنه : أكرم جدى السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه بمكة غاية الأكرام.

وفى بعض الأحيان كان سيدى يتمثل بحديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذى قاله لسيدنا عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه لما جهز جيش العسرة، والذى جاء بمعناه العارف بالله سيدى سر الختم الميرغنى رضى الله تعالى عنه بقوله :

لا يخف عثمان شيئا بعد ذا غفر الله له ما اكتسبا

والحديث هو: «ما ضر عثمان ذنب بعد اليوم».

قال صاحب العلم النفيس رضى الله تعالى عنه مستدلا بالحديث

الآتى على ما قدمه من أن المؤمن يكون هينا لينا :

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

«أهل الجنة كل هين لين سهل قريب، وأهل النار كل شديد قبعثرى . قالوا : وما قبعثرى يارسول الله ؟ قال : الشديد على الأهل، الشديد على الصاحب، الشديد على العشيرة» .

قال مولانا وسيدنا الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه : يصف النبى صلى الله عليه وسلم أهل الجنة بقوله «هين لين سهل قريب» وذلك بالمؤمنين كما قال تعالى : ﴿رحماء بينهم﴾ (٣٥) فالمؤمن من يكون مع أخيه المؤمن هينا ليس صعبا قاسيا، سهلا ليس وعرا، قريب الرضا ليس ببعيده .

وفى الحديث : «المؤمن هين لين سريع الغضب قريب الرضا» فالمؤمن حقا يعمل بقوله تعالى : ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾ (٣٦) . وبقوله تعالى : ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ (٣٧) . وبقوله تعالى : ﴿ويدرأون بالحسنة السيئة﴾ (٣٨) يعنى من قدم إليهم سيئة قدموا إليه حسنة، وهذه الصفة من أجل مكارم الأخلاق، وقد وعد الله فاعلها بأن عدوه يكون بعد العداوة ناصرا له محبا حبا عظيما، فتلك مكافأة معجلة فى الدنيا للذين يتصفون بهذه الصفة الكريمة .

(٣٥) الفتح : ٢٩ . (٣٦) آل عمران : ١٣٤ .
(٣٧) الشورى : ٣٧ . (٣٨) الرعد : ٢٢ .

قال سيدنا ومولانا الشيخ صالح الجعفرى :

كن هينا لينا للخلق تألفهم ويألفوك وهذا الوصف محمود

الألفة سبيل التحابب

وفى الحديث قال عليه الصلاة والسلام : «المؤمن من يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»، وقال تعالى : ﴿وألف بين قلوبهم﴾ (٣٩) .

فالألفة التى بين قلوب المؤمنين منة من أعظم المنن ونعمة من أجل النعم ؛ إذ بها يحصل التحابب والتعاون والتآزر، فلا يسمح المؤمن بضرر أخيه ومقاطعته واستسلامه لعدوه، بل يكون له أخا، كريما لا لئيما، مساعدا لا معاندا، مواصلا لا مقاطعا، محققا قول الحق سبحانه : ﴿فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾ (٤٠) .

وقد وصف صلى الله عليه وآله وسلم أهل النار بالشدة على الأهل والصاحب والعشيرة، وفى الحديث : «والمنافق إذا خاصم فجر» .

فلا تكن شديداً على أهلك فيبغضوك، ولا على أصحابك فيهجروك . ولا على العشيرة فيبدلون العشرة قطيعة لك .

وقد قال تعالى : ﴿إن ذلك لحق تخاصم أهل النار﴾ (٤١) فوصف الله سبحانه أهل النار بالتخاصم وهم فى النار، ووصف أهل الجنة بالإخلاص والأخوة فى الجنة فقال سبحانه : ﴿ونزعنا ما فى صدورهم

(٣٩) الأنفال : ٦٣ . (٤٠) آل عمران : ١٠٣ .
(٤١) الرعد : ٢٢ .

من غل إخوانا على سرر متقابلين﴾ (٤٢) فأهل النار أهل تباغض وتقاطع فى الدنيا والآخرة، وأهل الجنة أهل توادد وتحابب فى الدنيا والآخرة، قال عليه الصلاة والسلام: «أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة».

قال مولانا الشريف السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه:

«وقال الله تعالى: ﴿وقولوا للناس حسنا﴾ (٤٣) أى لا قبحا.
وقال عز وجل: ﴿وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن﴾ (٤٤).

والأحسن هو الذى جمع الحسن وزيادة.

وقال العارف بالله تعالى سيدى الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه: بفضل الفتاح المتعال: اللهم ارزقنى صواب المقال: لما خلق الله الإنسان فى أحسن تقويم كما قال تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم﴾ (٤٥) ناسب بأن يأمره بأن يقول أحسن القول، وقد قال سبحانه فى وصف الحمار حينما نهى عن التشبه به: ﴿إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ (٤٦) فالذى خلقه الله فى أحسن تقويم يقول التى هى أحسن للذى خلق فى أحسن تقويم، وذلك يتناسب أيضا مع التكريم، قال تعالى: ﴿ولقد كرمنا بنى آدم﴾ (٤٧) ومن

(٤٢) الحجر: ٤٧. (٤٣) البقرة: ٨٣. (٤٤) الإسراء: ٥٣.
(٤٥) التين: ٤. (٤٦) لقمان: ١٩. (٤٧) الإسراء: ٧٠.

تكريمه أن يقول التى هى أحسن وأن يقال له مثلها، ومن تكريمه تحريم سبه ولعنه، وغيبته وقتله واحتقاره، والهمز واللمز له، والظن فيه والقدح والشماتة والنميمة والفضيحة، وإشاعة الفاحشة والإفك عليه والبهتان، وقذفه وحسده والحقد عليه والضغينة، وضياع حقه وانتقاص قدره، وغشه وغدره والكذب عليه، وبخسه وبخس ما ينسب إليه، ووصفه باللقب المسىء، ونهره وزجره وضربه، والمكر به والبغى عليه والكيد له وسحره، وتخويفه وإدخال الحزن عليه، وقطع الطريق عليه، ومنعه الماء والهواء والظل، ومنعه الطعام والشراب، ومنعه الصلاة والزكاة والحج والعبادة، لأن الله تعالى قد كرمه وحفظ عليه التكريم بالإيمان والإسلام.

وأما الكافر فقد أضاع تكريمه بالكفر قال تعالى: ﴿ان هم إلا كالأنعام بل هم أضل﴾ (٤٨).

والجهر بالسوء من القول مبغوض عند الله مبغوض عند الملائكة، قال تعالى: ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾ (٤٩) فلا تقولن قولا لا يحبه الله تعالى، وقد ورد فى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم أخرج لسانه الشريف وقبض عليه وقال: «أمسك عليك هذا» فقال السائل: أفنؤاخذ بما نقول؟ قال عليه الصلاة والسلام: «ثكلتك أمك وهل يكب الناس فى النار على مناخرهم إلا حصائد

(٤٨) الفرقان: ٤٤. (٤٩) النساء: ١٤٨.

ألسنتهم». وقال عليه الصلاة والسلام: «من يضمن لى ما بين لحييه وما بين فخذيه ضمنت له الجنة».

فمن فكر فى هذه الآيات الكريمة وتلك الأحاديث الصحيحة حافظ على لسانه تمام المحافظة لا سيما بعد أن علم أن الملك يكتب عليه كل كلمة يقولها، قال تعالى: ﴿**ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد**﴾(٥٠) وقال تعالى: ﴿**مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها**﴾ (٥١)، قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما: الكبيرة: الضحك، والصغيرة: التبسم.

قال سيدنا الشريف السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه:

«وبالجملة فالذى تحب أن يواجهك الناس به من الكلام الطيب والقول الحسن والفعل الجميل فافعله مع خلق الله، وما تكره أن يعاملك العباد به من الكلام الخبيث والقول القبيح والفعل الكريه فاترك الناس والخلق منه».

قال شيخ الشيوخ وسلطان الرسوخ مولانا الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه: أشار بهذا القول إلى ما قاله سيدنا على كرم الله وجهه لابنه سيدنا الحسين رضى الله تعالى عنه: «يا بنى اجعل نفسك

(٥٠) سورة ق: ١٨.

(٥١) الكهف: ٤٩.

ميزانا فيما بينك وبين غيرك: أحبب لغيرك ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لها».

قال عليه الصلاة والسلام: «المسلم أخو المسلم»، وحينئذ فلا ينبغى للأخ أن يعامل أخاه بالمعاملة التى يكرهها لنفسه، لأن أخوة الإيمان ارتباط باطنى عظيم أقوى من ارتباط الأنساب، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿**ولا تلمزوا أنفسكم**﴾ (٥٢) وهل الإنسان يلمز نفسه؟ ولكن لشدة الاتصال الأخوى جعل القرآن الذى يلمز لأخيه المسلم كأنه لمز نفسه، وقال عليه الصلاة والسلام: «الناس سواسية كأسنان المشط»، وكيف يكون الأمر كذلك إذا عامل المسلم أخاه المسلم بما يكره أو أسمعه ما يكره.

قال سيدنا ومولانا الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه:

أسمع لغيرك ما يرضيك مسمعه
ولا تفه بقبيح القول للناس
النفس ميزان ما يرضيك من أحد
أو كان يغضبها من منطق قاسى
فاجعل لغيرك ما يرضيك يرض به
وما يسىء فلا تذكره للناس
واسمع نصيحة بن إدريس سيدنا
نعم النصيحة فى قلب وقرطاس

(٥٢) الحجرات: ١١.

قال صاحب العلم النفيس الشريف السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه:

«ان الله تعالى يعامل العبد بوصفه وخلقه الذى يعامل الخلق به، فإن المجازاة على الوصف بالوصف ﴿سيجزيهم وصفهم﴾ (٥٣) ﴿جزاءا وفاقا﴾ (٥٤).

قال صاحب الأنوار والأسرار سيدى الغوث الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه: وكلام السيد هذا يشبه كلام سيدى محيى الدين ابن عربى رضى الله تعالى عنه: «معاملتك للخلق معاملة الحق لك».

يعنى أن الحق سبحانه يعاملك من جنس معاملتك لخلقه، وقد استدل سيدى أحمد رضى الله تعالى عنه بهذه الآية: ﴿سيجزيهم وصفهم﴾.

وجعل المجازاة فى الآية عامة فى الدنيا والآخرة، لأن المحسن له الجنة فى الآخرة، وله البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة، قال تعالى: ﴿لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة﴾ (٥٥)، وقال تعالى: ﴿فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ (٥٦)، والفوز العظيم فى الدنيا والآخرة، وأى فوز

(٥٣) الأنعام: ١٣٩.
(٥٤) النبأ: ٢٦.
(٥٥) يونس: ٦٤.
(٥٦) التوبة: ١١١.

أعظم من التوحيد ومن مشاهدة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

قال سيدى الشيخ صُالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه: وللمناسبة أذكر شيئا من هذا فأقول والله حسبى ونعم الوكيل: مشاهدة الصحابة رضى الله تعالى عنهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت بالبصر، وبعد أن لحق صلى الله عليه وآله وسلم بالرفيق الأعلى كانت بالقلب عن سابق رؤية، ولعامة المؤمنين إلى يوم القيامة عن سماع أوصافه صلى الله عليه وآله وسلم، فارتقت الروح وصفت ووصلت إلى مشاهدة حقيقية، فهو صلى الله عليه وآله وسلم مشاهد للأولين والآخرين، ومحبوب للأولين والآخرين، فهو صلى الله عليه وسلم محبوب العوالم العلوية والسفلية، وقد استدل سيدى أحمد رضى الله تعالى عنه على أن الجزاء من الله تعالى يكون وفق عمل الإنسان، فاستدل بقوله تعالى: ﴿جزاءا وفاقا﴾.

قال الشريف ابن إدريس رضى الله تعالى عنه:

«فمن كان للخلق جنة ورحمة وظلا ظليلا يستريحون فيه كان الله له كذلك، فمن أكرم عبدا مراعاة لسيده فإنما أكرم السيد، ولذلك جاء فى الحديث عن الله عز وجل أنه يقول للعبد يوم القيامة: «جعت فلم تطعمنى، واستسقيتك فلم تسقنى، ومرضت فلم تعدنى، فيقول العبد: كيف تجوع وأنت رب العالمين؟ وكيف تمرض وأنت رب العالمين؟ وكيف تستسقينى وأنت رب العالمين؟ فيقول له سبحانه وتعالى مفسرا له ذلك: أما إنه مرض عبدى فلان فلو عدته لوجدتنى عنده، وجاع عبدى فلان أما إنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى».

قال سيدى أحمد رضى الله تعالى عنه :

«ففسر سبحانه نفسه فى قوله : جعت ومرضت واستسقيت بقوله : جاع عبدى فلان، فمعاملة العبد لملاحظة سيده هى معاملة السيد بلا شك».

أيها المريد هل راعيت معية الله فى معاملتك لنفسك

قال سيدى صالح الجعفرى قضى الله تعالى له جميع المصالح :

إذا علمت أن ربك عند غيرك موجود فعل أيقنت أنه معك؟ وهل راعيت تلك المعية فى معاملتك لنفسك فرحمت جوعها إذا جهلت فأطعمتها علما، أو إذا مرضت بالذنوب والغفلة فعالجتها بالتوبة والاستغفار، أو عطشت بحب الدنيا فأرويت ظمأها بتزهيدها فيها؟

وإذا علمت أن معك العليم وهو يحب العلماء ويكره الجهلاء، فسارع إلى مجالس العلم لتحظى بالعلم الموصل إلى حب الله تعالى لك. وفى الحديث : أوحى الله تعالى إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام : «يا إبراهيم . . إنى عليم أحب كل عليم».

قال سيدنا ومولانا الشيخ صالح الجعفرى :

سارع إلى أهل العلوم فإنهم
أهل الغذاء بهم ضياء الأنفس

إن قدم الغير النفيس فإنهم
قد قدموا شهد الشفاء الأنفس

وسارع إلى التوبة الصادقة الموصلة إلى محبة الله تعالى لك، قال تعالى : ﴿إن الله يحب التوابين﴾ (٥٧)، فيا حبذا التوبة الموصلة إلى المحبة، فمن تاب فقد أناب، ومن أناب فقد آب، ومن آب فقد طرق الباب، ومن طرق الباب يوشك أن يفتح له الباب، ومن فتح له الباب شاهد أولى الألباب وقد رفع عنهم الحجاب.

قال صاحب درس الجمعة الشهير بالأزهر الشريف سيدى صالح الجعفرى :

تب إن أردت محبة الغفار
فالله يغفر سائر الأوزار

ما خاب من قصد المهيمن تائبا
ينجو بتوبته من الأغيار

لا يستقيم القلب فى أعماله
حتى يتوب لواحد قهار

وحب الدنيا ظمأ ووله وقلق، فأذهب ظمأ روحك بزهدها فى الفانية ورغبتها فى الباقية، فإذا رغبت زهدت، وإذا زهدت وجدت، وإذا وجدت جدت، وإذا جدت عدت، وإذا عدت وصلت، وإذا وصلت اتصلت.

قال العلماء : الزهد هو الإعراض عن الشىء لاستصغاره، وإعراض الهمة عنه لاحتقاره، من قولهم شىء زهيد أى قليل.

(٥٧) البقرة: ٢٢٢.

قال الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه : «الزهد ثلاثة أوجه : ترك الحرام وهو زهد العوام، وترك فضول الحلال وهو زهد الخواص، والإعراض عما يشغل عن الله وهو زهد العارفين».

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى : «الزهد ثلاثة أحرف : زاى وهاء ودال، إشارة إلى الإعراض عن زينة الدنيا وعن الهوى وعن الدعاوى».

تفسير صوفى لكلمة الزهد

قال سيدى العارف بالله تعالى الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه :

الزهد ثلاثة أحرف كل حرف يشير إلى سبع صفات وهى :

الزاى : تشير إلى سبع صفات وهى :

زينة القلب بالحكم والمعارف .

زهوق الباطل وخيالات الدنيا وما فيها ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل﴾ (٥٨).

﴿زلفى وحسن مآب﴾ (٥٩) فى الدنيا والآخرة .

زيادة الهدى ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾ (٦٠). اهتدوا إلى أن الله حق، وأن الآخرة باقية، وأن الدنيا فانية .

---

(٥٨) الإسراء : ٨١ . (٥٩) سورة ص : ٢٥، ٤٠ بلفظ : «الزلفى» .

(٦٠) مريم : ٧٦ .

زوال حب الدنيا عن قلوبهم لما علموا أنها جيفة وطلابها كلاب .

زجر القلب النفس عن توجهها إلى حطام الدنيا ولذاتها .

زيه بزى الصالحين من أهل التقى والفلاح والدين .

والهاء : تشير إلى سبع صفات وهى :

هدايته إلى سبل الله الموصلة إلى حظيرة قدسه .

هباته الباقيات الصالحات لما زهد فى الصور الفانيات .

هجرته للذات لما هجر اللذات .

هيمانه بحب الله عن كل شىء لاه .

هيونته بعد قسوته .

همه الآخرة وما فيها بعد زهده فى الدنيا وما فيها .

هبوطه إلى أرض التواضع ﴿إن أرضى واسعة فإياى فاعبدون﴾ (٦١) ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا﴾ (٦٢).

دعاؤه المستجاب لكونه صار من الأحباب

وللدال : سبع صفات وهى :

دلالته على الله تعالى لما غاب عن نفسه الفانية .

ديدنه دوام ذكر الله تعالى لأن الدنيا تشغل من تعلق بها عن ذكر ربه سبحانه .

---

(٦١) العنكبوت : ٥٦ . (٦٢) الفرقان : ٦٣ .

دعواه حمد الله تعالى لما يرى غيره من المغترين المغرورين .

دوام التوجه إلى الله تعالى مع التلذذ بمناجاته وتلاوة ذكره الحكيم .

دنوه من حضرة التقديس بكثرة الذكر الذى هو منشور الولاية .

دخوله حضرة القرب الإلهى ووقوفه عند السماع العام الذى يدرك بالأذواق ما اللحظة فيه خير من ألف عام .

فهذه إحدى وعشرون من ضرب سبعة فى ثلاثة بقدر عدد الواجب والجائز لله تعالى ، فمن تحقق بالصفات المتقدمة وهى الإحدى والعشرون جاز له أن يدخل حضرة القدس التى هى حضرة الله عز وجل الذى له عشرون صفة واجبة وصفة جائزة .

قال سلالة بيت رسول الله سيدى الشيخ صالح الجعفرى :

إحدى وعشرون صفات الزاهد

لمن يريد حضرة للماجد

فيكسى ثوب التقوى . وثوب القبول . وثوب الوقاية . وثوب التوفيق . وثوب الطمأنينة . وثوب السكينة . وثوب العفة . وثوب القناعة . وثوب الحلم . وثوب العلم . وثوب الهيبة . وثوب الأوبة . وثوب السلام . وثوب الإيمان . وثوب الهداية . وثوب الولاية . وثوب المشاهدة . وثوب المجاهدة . وثوب الحب . وثوب القرب . وثوب الإكبار . وثوب الأنوار . وثوب الكمال . وثوب الوصال . وثوب التجمل . وثوب التحمل . وثوب النصر . وثوب اليسر . وثوب حسن الخاتمة . فهذه تسعة وعشرون تضاف إلى الصفات المتقدمة وهى إحدى وعشرون فيكون المجموع

خمسين صفة بعدد صفات الله تعالى الواجبة والجائزة والمستحيلة وعدد صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام الواجبة والمستحيلة والجائزة .

وبذلك يكون قد جمع بين الشريعة والحقيقة ويكون مكملا كمالا إلهيا محمديا من جميع الوجوه .

ثم يرجع إلى أرض الطبع التركيبى مع مباشرة الأسباب . أو مع التجريد شيخا معلما . أو أستاذا مرشدا فى مقام البسط . أو فى مقام القبض . أو فى مقام الحب . أو فى مقام الجذب . أو فى عزلة عن الناس . فى جوف غار . أو رأس طود . أو على ساحل بحر . أو فى وطنه . أو فى غربة . أو فى صحو . أو سكر . أو محو . أو فناء . أو بقاء . أو فرح . أو بكاء . أو وجد . أو شوق . أو تلذذ . أو سماع . أو سياحة . أو شعث . أو نضرة . أو فكرة . أو حضرة . أو جلوة . أو عشق . أو هيام . أو فطر . أو صيام . أو ناطقا . أو صامتا . أو مطرقا . أو شاخصا . أو بالمطاف كل عام . أو بمنى يوم الجمار . أو بعرفات مع الأخيار . أو بين المروة والصفا . أو فى زيارة النبى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم . أو فى المواجهة عند الروضة النبوية . أو فى مشاهدة خير البرية . أو فى الترقى إلى العوالم العلوية . أو فى مشاهدة الحضرة الإلهية .

فهذه تسعة وأربعون إلى الخمسين المتقدمة تكون تسعة وتسعين بعدد أسماء الله الحسنى وعند ذلك ينال المقام الأسمى .

قال سيدى الشيخ صالح الجعفرى بفضل الله تعالى :

إحدى وعشرون صفات الزاهد

لمن يريد حضرة للماجد

عشرون بعد تسعة كساؤه

من الثياب ذلك ارتقاؤه

خمسون يا فتى صفات قد سمت

ومن له أنواره لقد نمت

تسع وأربعون بعدها على

ما كان من صفات من بها علا

تسع وتسعون جميع العدد

صاحبها مزود بالمدد

تجلى به الحوباء من دعائه

وتنزل الغيوث من رجائه

يرجو إله العرش فى الإجابة

كما أجاب معشر الصحابة

ثم الصلاة بالسلام السرمدى

على النبى الهاشمى محمد

وآله وصحبه الأخيار

والتابعين منهج الأبرار

حسن الختام يرتجيه صالح

تقضى له يا ربنا المصالح

وآله وصحبه ومن لزم

طريق ابن إدريس ذى الفيض الخضم

قال بحر العلوم وكنز العطايا سيدنا ومولانا الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه ونفعنا به فى الدارين :

ازهد لكل مفارق من قبل أن

تلقاه فارق فالبقا للباقى

لاسيما الدنيا كظل يا فتى

تلقاه قد ولى بغير تلاق

كم من غرور قد رآها جنة

فأرته ذل الهون بالإملاق

وترى القنوع بها أراح فؤاده

لما اكتفى بموائد الرزاق

فازهد تجد قلبا لديك منعما

هذا النعيم لكل قلب راق

أيها المريد افعل الخير مع الخلق لأجل الخالق

فتخلق أيها الأخ الكريم بذلك الخلق العظيم. أطعم الجائع. اسق الظمآن. اكس العريان. عد المريض. فرج عن المكروب. اقض حوائج ذى الحاجات. وافعل الخير مع خلق الله لأجل الله تجد ربك وربهم عندهم، فمن راعى مخلوقا لأجل خالقه فقد راعى الخالق سبحانه.

أسأل الله تعالى أن يوفقنا أجمعين إلى العمل بهذه الأقوال فى جميع الأحوال حتى تكون صفاتنا كاملة مكملة من جميع الوجوه.

قال صاحب العلم النفيس مولاى الشريف السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه:

«فمن رسخ قدمه فى هذا المقام صارت معاملته مع الحق جل جلاله فى كل شىء فلا يراقب غير الله تعالى».

قال حبيب القلوب والأرواح مولانا الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه: لقد أجاد السيد وأفاد. وللجهالة قد أباد. كيف يراقب العبد. وقد جد السير. فلا سير ولا غير. قد فارق الحنادس. ولهو المجالس. وغاب عن الأغيار. وما غاب عن فعل الأخيار. تسوقه إلى الخير أقدامه. ويدعوه إلى الهدى إقدامه.

ويقول:

خدمت ربى ووقفت على أقدامى
حتى رأيت ملوك العشق خدامى
لكعبة الحسن تجريدى واحرامى
يومى كعامى وكالأيام أعوامى
شاهدت حقا وقد فسرت أحلامى
نشرت فى موكب العشاق أعلامى

فيوضات وانوار جعفرية

فأين الغير؟ وأين أنا؟ وأين الأين؟ وأين الحجاب والبين؟ وشتان ما بين ناظر بالقلب وناظر العين. وهل صاحب التجلى عن الحضرة يولى؟ أم لغير المتجلى يشاهد ويعامل؟ هذا حقا هو الولى الكامل. وايش يعمل بالغير بعد أن لا غير؟ فإن ترك محبة الغير فلا ضير إذ هو فى غياهب الأنوار. وتنزلات غيوث الأسرار. لاح له من جانب الغور لائح. وفاح له من حضرة الحب فائح. وجرت له فى بحار الحب الجوارى كالأعلام. تحمل موائد الحب لأرواح التجريد والاحرام.

قال صاحب العلم النفيس الشريف سيدى أبو العباس العرائشى مولاى السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه:

وجمع مكارم الأخلاق مع الله تعالى ومع عباده قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم: «أكرموا الله أن يرى منكم ما نهاكم عنه وهو أن لا يراك سبحانه حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك».

قال العبد الفقير المفتقر إلى رحمة ربه القدير مولانا الشيخ صالح ابن محمد الجعفرى كان الله له معينا ولأهله وأحبابه آمين: معنى أكرموا الله أى استحيوا من الله، لأن الحياء من الإيمان، وأعلاه الحياء من الله عز وجل، وهو يبعث الإنسان على فعل الواجبات، فلا يفقده الحق حيث أمره، أى لا يراه تاركا للواجبات، وأيضا يبعث الإنسان على البعد عن المعاصى فلا يراه ربه يفعل فعلا أو يقول قولا نهاه عنه سبحانه.

وإذا كان كذلك فقد اتصف بأعلى أوصاف الحياء.

ويتفرع من ذلك أن لا يترك شيئا أوجبه الله تعالى عليه لخلقه، ولا يقدم إليهم شيئا نهاه الله تعالى أن يقدمه إليهم، قال عليه الصلاة والسلام: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده».

قال سيدى الشفاء سلالة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم بحر العلوم ونبراس الفهوم الشريف السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه:

«والأمر الذى يبعث العبد على هذه الأمور هو الحياء من الله تعالى، وهو أن يعلم علم حضور أن الله عز وجل على كل شىء رقيب، وعلى كل شىء شهيد، وهو قول الله تعالى: ﴿واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه﴾ (٦٣).

(٦٣) البقرة: ٢٣٥.

قال سيدى بحر العلوم ونبراس الفهوم فضيلة الشيخ صالح الجعفرى: أشار السيد رضى الله تعالى عنه إلى أن أسباب الحياء المراقبة والمشاهدة وهما مظهران لاسميه تعالى الرقيب والشهيد.

فمن علم أن الله تعالى يرقبه راقبه. ومن علم أن الله تعالى شهيد عليه شاهده. فمن شاهده فله الشهد. وكان ممن أوفى بالعهد. ومن لم يشاهده كان كالبهائم. لا يخشى لومة لائم. فى فعل الآثام والجرائم. ومن أيقن أن الله يعلم ما فى نفسه. خرج من عوالم نفسه. وشهوات عالم حسه. إلى عوالم أنسه.

وقد أخبر السيد رضى الله تعالى عنه بفوائد الحياء وأسبابه فقال:

«فإذا أشغل العبد قلبه بهذه المراقبة، واستعمله فيها، وألزمه إياها حتى اعتادها وألفها، لزمه الحياء من الله تعالى أن يقول قولا أو يفعل فعلا لا يرضاه الله ولا يليق بجلاله وهو حاضر القلب ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾ (٦٤)، فإن الله تعالى معه وناظر إليه، فإن العبد إذا أراد أن يزنى مثلا أو يسرق والناس ناظرون إليه لا يقدر أن يقدم على ذلك مع علمه بنظر الناس إليه فإنه يستقبح ذلك من نفسه ويستخبثه، فإذا كان الحال هكذا مع المخلوق الذى لا يملك ضرا ولا نفعا، والحامل له على ذلك كله مخافة أن يسقط من أعين الناس ويحط قدره عندهم.

(٦٤) الحديد: ٤.

ولا شك أنه إذا كان حاضر القلب عند الشروع فى الفعل الذى لا يرضاه الله تعالى ترك ذلك الفعل قطعا، وهذا معنى قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك». فمن كان بهذه الحالة لزمه أن يحسن تلك العبادة ويتقنها على قدر قوة علمه أن الله ناظر إليه. وبالله التوفيق. وصلى الله على مولانا محمد وعلى آله وسلم فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله».

قال سيدنا ومولانا الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه: لقد أفاد السيد رضى الله تعالى عنه وأجاد، وأتى بما يستنير به الفؤاد، جزاه الله تعالى عنا أحسن الجزاء ورضى عنه وأرضاه، ولقد أشار رضى الله عنه إلى أعلى مقامات الإحسان بقوله: «وتجل لى يا إلهى بمقام الإحسان الجامع لأسرار كمال اعبد الله كأنك تراه. حتى أشاهد الحسن الذاتى الإلهى الكمالى المطلق السارى فى جميع جزئيات العالم وكلياته. فتنجذب روحى وجسمى بل كلى وسائرى إلى مغناطيس الجمال الإلهى. فأذوب فيه ولوعا وعشقا عن كل شىء سواه. حتى أكون عين العشق الإلهى. بل عين الحسن والجمال. بل حتى تكون ذاتى كلها عشقا ذاتيا وجمالا إليها صرفا من جميع الوجوه».

قال عين الحسن والجمال شيخ الرجال مولانا وحبيبنا صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه: ومن كشف له عن الحسن الذاتى كيف يميل قلبه إلى الفىء الغيرى؟! ومن شاهد الكمال المطلق السار كيف

ينظر إلى خيالات الأغيار؟! ومن جذبت روحه وجسمه إلى مغناطيس الجمال، كيف لا يتخلص من الأوهام والأوحال؟! ومن ذاب ولوعا وعشقا عن كل شىء سواه، كيف لا يتلذذ بذكر مولاه؟!

ومن كان عين العشق الإلهى كيف لا تشتاق إليه الأكوان وتستنير بنوره القلوب والأبدان؟! ومن كان عين الحسن والجمال كيف لا يكون ذا اتصال وتنتفع بأقواله الرجال؟! ومن كانت ذاته عشقا ذاتيا فقد ارتقى مقاما عليا، ومن كانت ذاته جمالا إلهيا كان عند ربه مرضيا، وقد أشار السيد رضى الله تعالى عنه إلى مقام الحياء بقوله: «وتجل لى يا إلهى بمقام الحياء الجامع لكل خير سر قول نبيك سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ان الله تعالى حيى كريم يستحيى إذا رفع العبد إليه يديه أن يردهما صفرا خائبتين».

وهذا أشبه بقوله تعالى: ﴿**وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم**﴾ (٦٥) يعنى من كان يحب مغفرة الله تعالى وعفوه فليعف وليصفح عن عباده. ويؤخذ من هذا أن الله يحب المتصفين بصفات الكمال ويتجلى عليهم بمثلها ﴿**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**﴾ (٦٦) ويفعل معهم مثلها، وحقيق أن مقام الحياء جامع لكل خير، وفى هذا إشارة إلى الحديث «فإن الحياء لا يأتى إلا بخير».

ومن وصل إلى هذا التجلى لا يبالى بالناس، إذ الحياء من الله تعالى يتلاشى معه الحياء من الناس، والذين لم يكونوا كذلك إنما يستحيون

(٦٥) النور: ٢٢. (٦٦) يونس: ٢٦.

من الناس، فإن غابوا عنهم فعلوا ما شاءوا، وان حضروهم تركوا ما يستقبح من أجلهم، وأما الذين حياؤهم من أجل الذى لا يغيب فهم لا يستطيعون أن يفعلوا شيئا من القبائح، ونور الحضرة لديهم لائح، همهم رفع درجاتهم عنده ولو سقطوا عند غيره. لا يبالون بالقواطع إلا عنه. ولا بالموانع إلا منه. فاتق الله ما استطعت وافتح لنفسك بالله أبواب القرب. فما فتحت على عبد إلا حاز بها أعالى الرتب. وعليك بالتمسك بالكتاب والسنة. فمن تمسك بهما فقد نال غاية المنة. ونادته السعادة وأقبلت عليه وأناخت له ذلولها. ودقت له فى عوالمها طبولها.

أيها المريد الصادق

انف عنك ما سواه

انف عن نفسك ما سواه لترتقى. فما دخل الحضرة إلا القلب النقى. فإذا ظفرت بالنقاوة. ذقت لذكر ربك حلاوة. إذا بقلبك حلت. لحلاوة غير العبادة عنك جلت فإذا جلت عنك الأغيار. أزيلت عن قلبك الأستار. وهبطت عليه أنواع الأسرار. عند كل نفس وحركة وقول وفعل. وحياك ابن الفارض رحمه الله بقوله:

ولاح سر خفى * يدريه من كان مثلى

فللشمس ضوء قبل الإشراق. وللتجلى سر قبل التلاق. فأكثر من قول لا إله إلا الله. لتعرف النفى والإثبات. وتبدل منك الصفات بالصفات. فصفات نفسك حجاب قدسك. فمزقها بـ(لا إله إلا الله محمد رسول الله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله). لتكسى

من صفات محمد رسول الله صلى الله عليه وآله سلم.

واعلم يا أخانا فى الله، نظر الله إلينا أجمعين بألطاف أهل ولايته، أن هذا الذكر ثقيل على النفس لنفاسته وسرعة هدايته، ويحصل به أمران عظيمان عليهما مدار الإصلاح، وهما عنوان الخير والفلاح:

الأول: تمزيق الصفات النفسية. وهو أثر قولك لا إله إلا الله.

والثانى: اتصافك بالصفات المحمدية. وهو أثر قولك محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنه باب الله تعالى الموصل إلى حضرة الحب والقرب. قال سيدى أبيض الوجه البكرى رضى الله تعالى عنه:

وأنت باب الله أى امرىء * أتاه من غيرك لا يدخل

والاتيان من هذا الباب يكون بأمرين:

الأول: حبه صلى الله عليه وآله وسلم كما ينبغى.

الثانى: متابعته صلى الله عليه وآله وسلم فى الأقوال والأفعال.

وكأنى بك إذا أكثرت من هذا الذكر ستفتح لك أبواب ما خطرت لك ببال، ولطالما بحثت عن ورد غير هذا طالبا ما حدثتك به نفسك، ولقد دللناك على كنز لو فطنت له، ولكنك لا زلت تنظر إلى الجيفة على غير ما هى عليه، ولو كشف ران قلبك لأبصرت ما أبصره العارفون، ولوليت عنها إلى ما أبصرته بصيرتك، وعلقت به سريرتك، وعندى فى أورادى ما يكل عنه تعبير لسانك، وتفكير جنانك، فإلى متى وبيننا المباينة؟ أما آن لك أن تكون من أهل المعاينة! فما دخلت لنا قلبا ولا خطرت لنا بخاطر، ولقد فررنا منها حينما فر إليها غيرنا، وكان فرارنا إلى

الله ﴿ففروا إلى الله﴾ (٦٧).

واعلم أن أرض طريقنا هذا لا يسقى إلا بماء الدين الخالص ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ (٦٨). ولا يثمر شجره إلا الكلمة الطيبة التى تصل إلى السماء ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء﴾ (٦٩).

فما عبدناه سبحانه للدنيا التى هى كهشيم تذروه الرياح، ولكن لنفحات تتنزل فى المساء والصباح، وابتغاء وجهه الكريم، والتلذذ بقربه وحبه ومناجاته والتذلل بين يديه، والإقبال عليه، وشهوده شهودا خارجا عن المعقولات والمحسوسات والفكريات والنظريات، فكيف اشتغلت بذكره وعبادته وما شغلك ؟

ويقول ابن الفارض رحمه الله تعالى:

*** فأصبح لى عن كل شغل بها شغل ***

يعنى الحضرة الإلهية، والتجليات الربانية، فى مقام كشف الحجاب وإزالة الأسباب. وغيبة وحضور. وفرح وحبور وصفاء ونور. فى مقام الفناء لدار الغرور. وصرف القلب عن الجنات والقصور. إلى ما هو أجل وأعلى ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ (٧٠). ﴿يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون﴾ (٧١) وأى حسرة أشد

(٦٧) الذاريات : ٥٠. (٦٨) الزمر : ٣. (٦٩) إبراهيم : ٢٤.
(٧٠) الأعلى : ١. (٧١) يس: ٣٠.

من حسرة من فاته الإيمان. وغره الشيطان. وحرم من الطاعات. واحتضن المخالفات. وحرم من لذة العبادة. وجعلها عنده كعادة. وحرم من التخلى. ومنع من التحلى. ولم يكن من أهل التجلى؟! فإلى متى يا أخانا وأنت فى سكرتك. مكبلا بغفلتك. غرتك من طردناها. وشغلتك من سلوناها؟!

قال الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه: «النفس إن لم تشغلها شغلتك» يعنى إن لم تشغلها بأوامر الله شغلتك بأوامرها وهكذا الحال. رحم الله الرجال. كيف عرفوا فأثمرت معارفهم؟ وكيف فروا فسلمت نجائبهم؟ وكيف كشفوا عن خفيات الأمور. لما استنارت منهم الأنفس والصدور؟

أيها المريد نهض نفسك بنفسك

وابك على يومك وأمسك

فإلى متى يا عبد الله وأنت تسمعنا سماع المستريب فيما يسمع؟! وعندك سيوف تلمع. لو حركتها لكانت لكل القواطع عنك تقطع. كم من ليال قد نمتها فما عادت عليك إلا بما عادت؟ وكم من أيام فيما ليس يعنيك قد أضعتها؟ وفى ظنك أنك أضعت الليالى والأيام. ولكنك أضعت عمرك الذى كلما مر منه يوم فليس يعود إلى يوم القيامة. وأراك تبكى على فلان إذا قيل مات وانقضى عمره. ولا تبكى على عمرك وهو فى كل يوم ينقص ولا يزيد، وأخشى أن تلحق بنا

مفلس الحال ، مكبل البال ، منغمسا فى الأوحال ، فنهض نفسك بنفسك . وابك على يومك وأمسك .

أيها المريد ماذا تريد

من هذه الدنيا

فواعجباه منك ثم واعجباه! ماذا تريد من جيفة يؤذيك ريحها ويثقلك أكلها . ويطغيك قربها . ويعاديك أهلها ، إن أقبلت عليها شغلتك . وان أعرضت عنها خدمتك . وإن أهنتها أكرمتك . وان أكرمتها أهانتك ، قولها يضحك أهلها وفعلها يبكيهم؟!

عجوز شمطاء . فى صورة فتاة حسناء . عدوة لأحباب الله تعالى . فلما عادوها ذللها لهم سيدهم . فصارت طوع أمرهم . تخيف غيرهم وهم أخافوها . وتستعبد غيرهم وهم استعبدوها . فلا فرق عندهم بين البعد والقرب ﴿فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى﴾ (٧٢)، فهى تحت إشارتهم . ولكن تمر على قلوبهم من بعد مر السحاب . فيقول الحق سبحانه لمن جاء بها إليه وهو مشغول بالمعاد والمآب : ﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾ (٧٣).

أيها المريد عليك

بالإكثار من ذكر الله تعالى

ومن مكارم الأخلاق وأهمها الإكثار من ذكر الله تعالى قال سبحانه :

(٧٢) النمل : ٤٠ . (٧٣) سورة ص : ٣٩ .

﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ (٧٤). وقال تعالى : ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات﴾ (٧٥) وقال تعالى : ﴿فاذكرونى أذكركم﴾ (٧٦) وقال تعالى : ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (٧٧).

لماكانت نعمه عليك كثيرة ، وحياتك فى الدنيا زائلة وأعوامك فى القبر كثيرة ، ويوم الحساب يوم طويل ، والحياة فى الآخرة لا نهاية لها كان الأمر منه سبحانه موافقا لحالك تمام الموافقة ، لأنه أمرك سبحانه بالإكثار من ذكره لا بالذكر وحده ، وحقيق أيها الإنسان إنك لفى حاجة شديدة إلى الإكثار من ذكر ربك ؛ ليكون الإكثار مدافعا عنك أمام النقم الكثيرة والذنوب الكبيرة ، والأعوام الطويلة ، فلا تترك سلاحك وأمامك الهيجاء ، فإن مكائد الشيطان لك كثيرة ، فأعد له عدة أهل الفلاح ، وإلا يقال لك : كساع إلى الهيجاء بغير سلاح .

وقد وعد الله سبحانه الذاكرين الله تعالى كثيرا والذاكرات بالمغفرة والأجر العظيم ، فبشرى ثم طوبى للذاكرين المكثرين ، تلذذوا بذكر حبيبهم وعندهم هو عين النعيم .

وقد وعد سبحانه الذاكرين له بطمأنينة القلب فى الدنيا والآخرة أيضا ، والقلب يطمئن بذكر الله تعالى لأن الذاكر يذكره خالقه سبحانه ، فإذا ذكر القلب الخالق سبحانه ذكره الله تعالى ﴿فاذكرونى أذكركم﴾ (٧٨) وإذا ذكر الرب عبده اطمأن القلب بذكر الله عبده ؛ لأنه

(٧٤) الأحزاب : ٤١ . (٧٥) الأحزاب : ٣٥ . (٧٦) البقرة : ١٥٢ .
(٧٧) الرعد : ٣٨ . (٧٨) البقرة : ١٥٢ .

أكبر من ذكرك لربك ﴿ولذكر الله أكبر﴾ (٧٩) لأنه به تحصل الطمأنينة للقلب، وكأنه يشاهد ما وراء الغيب، أناس قلوبهم مشغولة بالأرزاق، وهو قلبه مشغول بالخلاق، وهم يعملون للدنيا كأنهم يخلدون، وهو يعمل للآخرة عمل من قيل لهم غدا ترحلون.

اطمأن قلبه إلى زوال الدنيا فنظر إليها وكأنها أمامه زائلة، واطمأن إلى الجنة ونعيمها فكأنها أمامه حاضرة ماثلة، إذا فزعت القلوب إلى بعيد، فزع إلى من هو أقرب إليه من حبل الوريد، وإذا خاف الناس من عاجز بالقضاء مقهور، خاف هو ممن بيده تصاريف الأمور، فلا المزعجات تذهب الطمأنينة إذا استقرت، ولا الدنيا تدخل قلبه إذا أقبلت أو تولت.

متوكل على خالقه ومولاه، واثق بما عنده عما عند سواه، إذا بكى غيره على فانٍ تراه يبكى من خشية الله، وإذا اشتاق غيره إلى الأغيار شاقه ذكر الله، نهاره كليله وليله كنهاره، يزيل عن سبل سعادته ما حفت به من مكاره، فلا تصطاده النار بمصائد الشهوات، ولا تخدعه النفس بما لها من رغبات.

وكيف لا يكون كذلك وقد ذكره الحق سبحانه فأخذ فى الأسباب فدخل حضرة الأحباب، والأحباب لا يحبون ما يكره حبيبهم بل يكرهونه، والأحباب يحبون ما يحب حبيبهم بل ويوقرونه.

ولما كانوا كذلك سموا أحبابا، وشربوا من شراب الحب أكوابا،

(٧٩) العنكبوت: ٤٥.

ذكرهم شعارهم، وحبهم دثارهم، جذبتهم يد العناية فهم المجذوبون واحتضنتهم الهداية فهم المهديون، كم سهروا من ليل وكم ركبوا للجهاد من خيل، عباد بالليل وفرسان بالنهار، فطناء أذكياء لا يخدعهم خداع ولا تعطلهم عن جهادهم أوجاع، لا يبالى أحدهم أشبع أم جاع؟ أضاءوا الكون بأنوارهم، ونفعوا الخلق بأسفارهم، وكانوا لله فى أسفارهم، وعمرو الدنيا بأذكارهم، لهم بالنهار جولات، وبالليل حضرات، رحم الله بهم عباده وهدى بهم، وجعل الإخلاص فى قلوبهم، ذكر الله تعالى شعارهم، والحياء دثارهم، والتوحيد عقيدتهم، والجهاد بغيتهم، والإسلام دعوتهم، والقرآن إمامهم، والنبى صلى الله عليه وآله وسلم حبيبهم وقدوتهم.

***

وكان الفراغ من هذا الشرح المبارك بالجامع الأزهر الشريف يوم الاثنين ٨ جمادى الثانية سنة ١٣٨٢ هـ.

أسأل الله تعالى أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين آمين. وصلى الله على مولانا محمد وعلى آله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله.

****

حديث شريف

وبالإجازة المباركة والسند المتصل إلى الحافظ المحدث الشريف السيد أحمد بن إدريس إلى الإمام أحمد والنسائى والحاكم والبيهقى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «حبب إلى من دنياكم ثلاث : النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة» .

قال العالم الصوفى الشيخ أحمد بن عطاء الله السكندرى المالكى رحمه الله : قرة العين بالشهود على قدر المعرفة بالمشهود ، والنبى صلى الله عليه وآله وسلم لم تقر عينه إلا بالله تعالى ولذلك قال فى الصلاة ولم يقل بالصلاة .

قال عين الحسن والجمال مولانا فضيلة الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه : الصلاة حبيبة الأرواح ، وفيها مناجاة حبيبها وتنزلات فيوضات المناجاة والتجليات ، وهى عرس الأرواح ، ومهبط الريحان والراح ، وحق للعيون أن تقر بها ، لأن فيها القرب من ربها .

فعليك يا أخانا بالإقبال عليها فرضا ونفلا ، لتنال بها ما ناله المصلون الذين خشعوا لربهم فى صلواتهم ، فنالوا من ربهم فلاح المفلحين وإنابة المخبتين ، أفق يا عبد الله من غفلتك ، وقدم فى حياتك لآخرتك .

حكم من فضل الله تعالى
قد مَنَّ الله تعالى بها على بإلهام منه

* ظلمت فأظلمت فهل لك أن تعمل بمنار ربك حتى يستنير قلبك؟

*وعدلت عن الحق فاعوج سبيلك . فهل لك أن تعدل حتى يعتدل مسيرك؟

* ظللت تحت ظلال جهلك . وأخلدت إلى أرض نفسك وما استظللت بظل سيفك . حتى تخلد بأرض أكلها دائم وظلها .

* ألفت راحتك . وما مددت لفقير راحتك . فلو استوت سفينتك على جودى صفاء سريرتك . لوقفت إحدى الوقفتين . ورجوت إحدى الحسنيين . مع الذين عرفهم ربهم فعرفوه من «ألست» (٨٠) فدعاهم إلى عرفات فتعارفوا بمن عرفوهم يوم أن كانوا جنودا مجندة .

* والذين وقفوا أمام عدوهم . فاستوى عندهم سيل دماء عدوهم مع سيل دمائهم إذ بالأول معزة دينهم . وبالثانى جنة ربهم .

* فلا تمل فتمل إذ الملل من الخلل .

* فتخل لتخلو وتتحلى فما تحلى غير خال . ثبت فى ميدان التجلى مع الرجال .

---

(٨٠) فى قوله تعالى : ﴿واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾ . [الأعراف : ١٧٢] .

* فلما تجلى للقلوب الخالية عن غيره تزاحمت على حبه للعاشقين له مطامع لو أظهرها لأنكرها. ومن أجل ذلك نكروها فجلسوا على كراسى مراسى النهايات ﴿إلى ربك منتهاها﴾ (٨١) ﴿كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية﴾ (٨٢) غذاؤكم ودواؤكم وشفاؤكم ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا﴾ (٨٣).

* فإذا لان قلبك بذكر ربك فلا ريب أن يلين لك الحديد الذى هو جوارحك. ان جوارحك كبستان فيه من كل الثمرات. وقرآن ربك هو عينه بما أفاد ونهى وأمر. فمن لا قرآن عنده لا حديقة له ولا ثمر. فالجنة الثانية بالجنة الأولى «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا. قالوا يارسول الله.. وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر». ﴿وللآخرة خير لك من الأولى﴾ (٨٤).

* جنة الخلد خير من جنة الدنيا، لأنك تنال فيها شيئين عظيمين:

الأول: ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾ (٨٥).

الثانى: «أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا». ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ (٨٦).

* فإذا قمت من نومك. فقد أقامك الذى قوم قوامك. فهو الذى أحياك بعد موتك. وقد كان عليه الصلاة والسلام إذا استيقظ من منامه يقول: «الحمد لله الذى أحيانى بعد مماتى وإليه النشور».

---

(٨١) النازعات: ٤٤. (٨٢) الحاقة: ٢٤. (٨٣) الزمر: ٢٣.
(٨٤) الضحى: ٤. (٨٥) القيامة: ٢٢، ٢٣. (٨٦) التوبة: ٧٢.

* فهيىء نفسك لمن بيده أنفاسك. واذكره ان استطعت عند كل نفس. وخاطر وهاجس إذا هجس. فأنفاسك حراسك إذا فطنت لذلك. لأنها من آثار قدرة مالك الممالك.

* فمن العبث نسيانك لجليسك. ووحشتك من أنيسك. كم جالسك وأنت تذكر. وكم آنسك ولا تشعر. وربما كان ذلك بواسطة وبلا.

* كما خلقك مستقرا ومعرضا للبلى. فالروح مستقر وما سواه فان.

وكحركاتك وسكناتك والزمان. فما بقى ذكرك البقاء. وما فنى ذكرك الفناء.

* فهل وصلت حتى تتصل؟ أم تريد أن تمد رجلك قبل الوصول، ويدك قبل الدخول، بل غبت وما غاب، وتواريت بالحجاب، وأردت الدخول من غير باب، فكم سمعت كلامه ﴿حتى يسمع كلام الله﴾ (٨٧)، وكم ذكرتك أيامه: ﴿وذكرهم بأيام الله﴾ (٨٨)، فأين حل كلامه منك، وماذا نقلت أيامه عنك.

يا طويل الأمل هل تستطيع أن تطيل الأجل، حتى تصلح العمل؟ إذا عجزت عن تطويل أجلك، فكن قادرا على تقصير أملك، وجاهد نفسك وقل لا حول ولا قوة إلا بالله، ولا تتكاسل وتتقاعد وتقول: الأمر لله.

---

(٨٧) التوبة: ٦.
(٨٨) إبراهيم: ٥.

* نعم الأمر لله، أمرك فما امتثلت، ونهاك فما انتهيت، فاحكم على نفسك ببصيرتك، ولا تعتذر بجدل قولك، **﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة * ولو ألقى معاذيره﴾** (٨٩).

* بل أنت تشهد على نفسك بما وصفها ربك. **﴿وإنه على ذلك لشهيد﴾** (٩٠). فواعجباه أتريد شاهدا بعد نفسك؟ أم أنت مطمئن إلى ما بعد قبرك.

* لقد رجوت وما عملت. وأعرضت وما خفت **﴿ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾** (٩١). فمن أين لك هذا الرجاء وأنت قد غفلت عن وحى تنزل من السماء لو رفعت رأسك إليه لرفعك؟ ولكنك أخلدت إلى الشيطان فوضعك. **﴿ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض﴾** (٩٢).

* ما أنت إلا كالسيف فى قرابه. أما آن لك أن تظهر هذا السيف ليظهر لك نوره. وينجلى عن قلبك ديجوره. فالقراب جسمك الكثيف. الذى حجب صفاء روحك اللطيف.

*** فلولا الغمد يمسكه لسالا ***

* وأسمعك من بديع إلهامه مقالا. فأخرج روحك بآيات ربك إلى نور ربك **﴿الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾** (٩٣). وأضىء أرض جسمك بالعمل بكتاب ربك **﴿وأشرقت الأرض بنور ربها**

(٨٩) القيامة: ١٤، ١٥. (٩٠) العاديات: ٧. (٩١) الإسراء: ٥٧.
(٩٢) الأعراف: ١٧٦. (٩٣) البقرة: ٢٥٧.
(٩٤) الزمر: ٦٩.

ووضع الكتاب﴾ (٩٤) فمن أشرقت أرض جسمه اليوم أشرقت أرض محشره. وعاش آمنا فى تطوره.

ومن لم تشرق أرض جسمه اليوم فلا نور له يوم النشور **﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾** (٩٥).

* فعليك بالأسباب حتى تصل إلى الباب. فإذا دخلت مع الأحباب لذ لك ما هم فيه وطاب **﴿دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام * وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾** (٩٦).

«قد من الله تعالى على بهذه الحكم فى سحر يوم الثلاثاء ١٧ ذى القعدة سنة ١٣٨٠هـ».

(٩٥) النور: ٤٠. (٩٦) يونس: ١٠.

خاتمـــة

وجد بخط السيد محمد الشريف بن السيد محمد بن على السنوسى رضى الله تعالى عنهما ما نصه: «انتقل سيدى عبد العالى فى ٢٧ من ذى القعدة الحرام سنة ١٢٩٥ هـ، ودفن بدنقلة، وذريته محمد الشريف جمع القرآن، ومحمد مصطفى فى الانشقاق وبنت. وأمهم بنت الحاج عبد الرحيم. ومحمد المأمون فى النجم، ومحمد المرتضى فى المدثر. وأمهما بنت الشيخ مكى بن الحاج سلطان، ومحمد السنوسى سورته غافر، ومحمد إدريس وبنت أمهم بنت عبد الكريم عمدة الزيتية. ومحمد الحسن، وأمه بنت أخت الريس على الطنطاوى. ومحمد العربى ومحمد الأمين. وترك أربعة من الجوارى وعبد».

قال عين الحسن والجمال شيخ الكُمّل من الرجال سيدى الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه: أخبرنى شيخى السيد محمد الشريف عن وفاة والده سيدى عبد العالى رضى الله تعالى عنهما فقال: أمرنى والدى أن أصنع طعاما يوم الجمعة وأقدمه للفقراء عند غروب الشمس، وقبل غروب الشمس بساعة طلب شايا أخضر فشرب منه. فلما غربت الشمس دخلت عليه فقال لى: قدمت الطعام إلى الفقراء؟ قلت: نعم. وكان جالسا على السرير فقال: «الله» ومدها حتى وضع رأسه على الوسادة، فخرجت روحه الشريفة مع انتهاء لفظ الجلالة.

قال السيد الشريف: فظننت أنا والإخوان أنه قد نام فغطيناه بثوب، وجلسنا خارج الحجرة التى هو بها. وكان الشيخ مصطفى التنقساوى

موجودا معنا فذهب إلى بيته. فلما نام بعد العشاء رأى السيد عبد العالى فى النوم يقول له: «سبحان الله يا شيخ مصطفى تركتنى وجئت إلى بيتك وأنا قد انتقلت إلى رحمة الله».

قال الشيخ مصطفى: جاءنى ثلاث مرات وهو يقول هذا الكلام. فقام وذهب إلى بيت الشريف.

قال السيد الشريف: فلما دخل علينا قال: «الشريف ما قام من النوم؟» فقلنا له: لا، فدخل عنده فى الحجرة ثم خرج إلى بيت حاكم البلد مصطفى باشا ياور وأخبره بالرؤية وبوفاة الشريف، فجاء الباشا ومعه الأطباء ودخلوا على الشريف فوجدوه قد توفى إلى رحمة الله تعالى. وكان ذلك فى ٢٧ ذى القعدة سنة ١٢٩٥هـ، ودفن يوم السبت بمسجد بلدة دنقلا بشمال السودان، وغسله وصلى على جنازته الشيخ عبد الله كلمسيد كما أوصى الشريف بذلك.

قال خزينة الأنوار والأسرار الحسينية سيدى الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه: وفى خروج روح السيد عبد العالى رضى الله تعالى عنه مع غروب الشمس إشارة إلى أنه شمس العلوم والمعارف رضى الله تعالى عنه وأرضاه. ولم يدفن معه من أولاده أحد سوى ابنه السيد الشريف. وكان يقيس بعصاه موضع قبره مرارا ويتبسم، وهو المكان الذى دفن فيه بجوار والده من جهة القبلة رضى الله تعالى عنه وأرضاه. وقد رأيته بعد وفاته فقال لى: هذا الذى كنت أتمناه والحمد لله. رضى الله تعالى عنه وعن أبيه وعن جده وجعل الجنة متقلبهم ومثواهم آمين.

الفهرست

الموضوع	الصفحة
كلمة دار جوامع الكلم	٤
تعريف بسيدى أحمد بن إدريس	٥
تعريف بسيدى صالح الجعفرى	٧
القاعدة الأولى : المحاسبة	١٧
حكم جعفرية	١٩
علو الهمة فى الله تعالى	٢٠
المعنى الصوفى لكلمة : طريق	٢٠
حياة الروح والقلب	٢٢
ومن العطاء أن تعطى نفسك لربك	٢٣
الوقوف بين يدى الله تعالى	٣١
صلاة الواصلين وصلاة السائرين إلى الله تعالى	٣٣
الحياة الطيبة فى صحبة الحق سبحانه	٣٤
فيوضات وأنوار جعفرية	٣٩
لا يحجب عنا من صار منا	٤٤
إياك أن تشاهد نفسك معنا	٤٥
الاستقامة خير من ألف كرامة	٤٦
معنى «ثم استقاموا»	٤٧
من شرد إلى الشيخ فقد شرد إلى الله تعالى	٤٨
لا بد من الوسيلة لبلوغ الطلب	٥٠
الشيخ العارف من سبل الله تعالى	٥١

الموضوع	الصفحة
العلم الكسبى والوهبى	٥٢
خرق الحجب	٥٣
أقرب الطرق لرؤية النبى صلى الله عليه وآله وسلم	٥٣
تنبيه خطير	٥٥
ثلاثة على خطر	٥٧
إشارات خفية خطيرة	٦٠
جنود الهوى	٦٩
عليكم بالأحزاب بعد تلاوة القرآن العظيم	٧٢
أيها المريد أعنى على نفسك	٧٣
كل ما يصدر من الشيخ غيث للمريد	٧٩
طريقنا كله حساب ومحاسبة	٨٣
فيوضات جعفرية	٨٥
خروج الأعمال المعنوية فى صورة حسية عند ترقى الروح . .	٨٦
شرح الخطاب لسيدى الشيخ صالح الجعفرى	٩٦
غذاء الروح	١٠١
الخير كل الخير فى أوراد الطريق	١٠٢
القاعدة الثانية : الإخلاص	١٠٩
تجلى الأفعال	١١٠
فيوضات وحكم وأنوار جعفرية	١١١
الإخلاص أن لا ترى الإخلاص	١١٣
تلاوة القرآن تفتح لك الأبواب	

الموضـــوع	الصفحة
عليكم بالإكثار من الصـلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم	١٢٠
أيها المريد الصادق دع الأكوان عنك	١٢٤
أبجدية التصوف	١٢٧
القاعدة الثالثة : الرحمة	١٢٩
القاعدة الرابعة : مكارم الأخلاق	١٤١
مكارم الأخلاق	١٥٥
الألفة سبيل التحابب	١٦٠
أيها المريد هل راعيت الله فى معاملتك لنفسك	١٦٦
تفسير صوفى لكلمة : الزهد	١٧٣
دعاؤه مستجاب لكونه صار من الأحباب	١٧٥
أيها المريد أفعل الخير مع الخلق لأجل الخالق	١٧٦
فيوضات وأنوار جعفرية	١٨١
أيها المريد الصادق انف عنك ما سواه	١٨٢
أيها المريد نهض نفسك بنفسك وأبك على يومك وأمسك	١٨٧
أيها المريد ماذا تريد من هذه الدنيا	١٩٠
أيها المريد عليك بالإكثار من ذكر الله تعالى	١٩١
حديث شريف	١٩١
حكم من فضل الله تعـالى قد منَّ الله تعالـى بها علىّ بإلهام منه	١٩٥
خاتمة	١٩٦
	٢٠١